الفروق لابن قيم الجوزية

« منتزع من أغلب كتب ابن القيم رحمه الله تعالى »

جمع وترتيب

يوسف الصّالح

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

فسح وزارة الإعلام
رقـم ٧٤٤٥م
وتاريـخ ١٤١٢/١٠/٢٢هـ



المحتويات

الموضوع	الصفحة

باب السلوك

باب أصول الفقه

باب الفقه

باب اللغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

فلقد اطلعت على المجموعة الطيبة المباركة التي قام بجمعها وتبويبها وترتيبها وتقريبها الأخ الفاضل / يوسف الصالح، وفقه الله تعالى وزاده من البر والتقوى ، وذلك بتقريب الفروق للإمام القيم بن القيم، رحمه الله تعالى، وهذا مما يسر القلب ويبهج النفس أن يشتغل الشباب المسلم في مثل هذه البحوث العلمية الرائعة الفائقة العالية الغالية فيفيد ويستفيد بنشر العلم والإيمان وتقريبه للأذهان؛ وقد اطلعت على هذا الجمع المبارك من البداية إلى النهاية فألفيته جمعاً مباركاً بذل فيه من الجهد والوقت والبحث والمطالعة مايستحقه، وفقه الله وزاده من البر والتقوى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إبراهيم الحمد الجطيلي

جماعة تحفيظ القرآن الكريم / عنيزة

١٤١٢/٢/١٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فعندما كنت أقرأ كتاب التقريب لفقه ابن القيم الجوزيه، رحمه الله، للعلامه الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، حفظه الله، رأيت في آخر الكتاب[1] مبحث الفروق لابن القيم، رحمه الله، التي ذكرها منثوره في كتبه، وقد أشار الشيخ بكر أبو زيد إلى مواضعها في كتب ابن القيم واستحب بعد أن ذكر الفروق أن يجمعها أحد طلبة العلم، فعند ذلك استعنت بالله وجمعتها. وأسال الله تعالى أن ينفعني الله بها وعموم المسلمين آمين.

يوسف الصالح

(١) الجزء الأول ص ٢٩٥.

فائدة عظيمة

أفضل ما اكتسبته النفوس، وحصلته القلوب، ونال بعد العبدُ الرفعةَ في الدنيا والآخرة، هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ وقوله: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبُّه، والمؤهلون للمراتب العالية، ولكن أكثر الناس غالطون في حقيقة مسمى العلم والإيمان اللذين بهما السعادة والرفعة، وفي حقيقتهما. حتى أنّ كل طائفة تظنُّ أن ما معها من العلم والإيمان هو هذا الذي به تُنال السعادة، وليس كذلك بل أكثرهم ليس معهم إيمان ينجي ولا علم يرفع، بل قد سدّوا على نفوسهم طرق العلم والإيمان اللذين جاء بهما الرسول ﷺ ودعا إليهما الأمة، وكان عليهما هو وأصحابه من بعده وتابعوهم على منهاجهم وآثارهم.

فكل طائفة اعتقدت أن العلم ما معها وفرحت به ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ وأكثر ما عندهم كلام وآراء وخرص، والعلم وراء الكلام كما قال حماد بن زيد: قلت لأيوب: العلم اليوم أكثر أو فيما تقدم؟، فقال: الكلام اليوم أكثر والعلم فيما تقدم أكثر!

ففرّق هذا الراسخُ بين العلم والكلام. فالكتب كثيرة جداً والكلام والجدال والمقدرات الذهنية كثيرة، والعلم بمعزل عن أكثرها، وهو ما جاء به الرسول ﷺ عن الله سبحانه، قال تعالى: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم﴾ وقال:

﴿ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم﴾ وقال في القرآن : ﴿أنزله بعلمه﴾ أي وفيه علمُه.

ولما بَعُدَ العهدُ بهذا العلم آلَ الأمرُ بكثير من الناس إلى أن اتخذوا هواجس الأفكار وسوانح الخواطر والآراء علمًا، ووضعوا فيها الكتب، وأنفقوا فيها الأنفاس، فضيّعوا فيها الزمان، وملأوا بها الصحف مدادًا، والقلوب سوادًا، حتى صرّح كثيرٌ من الناس منهم أنه ليس في القرآن والسنة علم، وأن أدلتهما لفظية لا تفيد يقينًا ولا علمًا. وصرخ الشيطان بهذه الكلمة فيهم، وأذّن بها بين أظهرهم، حتى أسمعها دانيهم لقاصيهم، فانسلخت بها القلوب من العلم والإيمان كانسلاخ الحيّة من قشرها، والثوب عن لابسه.

قال الإمام العلاّمة شمس الدين ابن القيم : ولقد أخبرني بعض أصحابنا عن بعض أتباع أتباع هؤلاء أنه رآه يشتغل في بعض كتبهم ولم يحفظ القرآن، فقال له : لو حفَظَتّ القرآن أولاً كان أولى، فقال : وهل في القرآن علم !

قال ابن القيم : وقال لي بعضُ أئمة هؤلاء : إنما نسمع الحديث لأجل البركة لا لنستفيد منه العلم؛ لأن غيرنا قد كفانا هذه المئونة فعمدتنا على ما فهموه وقرروه، ولاشك أن مَن كان هذا مبلغه من العلم فهو كما قال القائل :

نَزَلُوا بِمَكّةَ في قَبَائلِ هَاشِمٍ ... وَنَزَلْتُ بِالْبَطْحَاءِ أبْعَدَ مَنْزِلِ

قال : وقال لي شيخنا مرة في وصف هؤلاء :

إنهم طافوا على أرباب المذاهب ففازوا بأخس المطالب، ويكفيك دليلاً على أن هذا الذي عندهم ليس من عند الله، ماترى فيه من التناقض والاختلاف ومصادمة بعضه لبعض، قال تعالى : ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرًا﴾ وهذا يدل على أن ماكان من عنده سبحانه لا يختلف، وأن ما اختلف وتناقض

فليس من عنده، وكيف تكون الآراء والخيالات وسوانح الأفكار دينًا يُدان به ويُحكم به على الله ورسوله، سبحانك هذا بهتان عظيم.

وقد كان علم الصحابة الذي يتذاكرون فيه غير علوم هؤلاء المختلفين الخراصين كما حكى الحاكم في ترجمة أبي عبدالله البخاري، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا إنما يتذاكرون كتاب ربهم وسُنَّة نبيهم، ليس بينهم رأي ولا قياس. ولقد أحسن القائل:

الْعِلْمُ قَاْلَ اللـــه قَاْلَ رَسُوْلُهُ ... قَاْلَ الصَّحَاْبَةُ، لَيْسَ بِالتَمْوِيهِ
مَاْ العِلْمُ نَصْبَكَ لِلْخِلافِ سفَاهَةً ... بيْنَ الرَّسُوْلِ وَبَيْنَ رَأْيِ فقِيْهِ
كَلاَّ، وَلاَ جَحْدَ الصِفَاتِ وَنَفْيَها ... حذَرًا مِنْ التَمْثِيلِ والتَّشْبِيهِ

✿ ✿ ✿ ✿ ✿ ✿ ✿

فصل

وأما الإيمان فأكثر الناس، أو كلُّهم، يدَّعونه ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾. وأكثر المؤمنين إنما عندهم إيمان مجمل، وأما الإيمان المفصل بما جاء به الرسول ﷺ معرفة وعلماً وإقرارًا ومحبة ومعرفة بضدِّه وكراهيته، فهذا إيمان خواص الأمة وخاصة الرسول، وهو إيمان الصدِّيق وحزبه.

وكثير من الناس حظهم من الإيمان الإقرار بوجود الصانع، وأنه وحده هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، وهذا لم يكن ينكره عُبَّادُ الأصنام من قريش ونحوهم.

وآخرون الإيمان عندهم هو التكلم بالشهادتين، سواء كان معه عمل أو لم

يكن، وسواء وافق تصديق القلب أو خالفه.

وآخرون عندهم الإيمان مجرَّدُ تصديق القلب بأن الله سبحانه خالق السموات والأرضِ وأن محمدًا عبده ورسوله وإنْ لم يُقِرْ بلسانه ولم يعمل شيئًا، بل ولو سَبَّ اللهَ ورسوله وأتى بكل عظيمة، وهو يعتقد وحدانية الله ونبوة رسوله فهو مؤمن.

وآخرون عندهم الإيمان هو جَحْدُ صفاتِ الرب تعالى من علوِّه على عرشه وتكلُّمه بكلماته وكتبه وسمعه وبصره ومشيئته وقدرته وإرادته وحُبِّه وبُغضه، وغير ذلك مما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله. فالإيمان عندهم إنكار حقائق ذلك كله وجحدُه والوقوفُ مع ما تقتضيه آراء المتهوكين وأفكار المخرصين الذين يردُّ بعضُهم على بعض وينقضُ بعضُهم قولَ بعض، الذين هم كما قال عمر بن الخطاب والإمام أحمد:

مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مفارقة الكتاب.

وآخرون عندهم الإيمان عبادة الله بحكم أذواقهم ومواجيدهم وما تهواه نفوسهم من غير تقييد بما جاء به الرسول.

وآخرون الإيمان عندهم ما وجدوا عليه آباءهم وأسلافهم بحكم الاتفاق كائنًا ما كان، بل إيمانهم مبني على مقدمتين، إحداهما: أن هذا قول أسلافنا وآبائنا. والثانية: أن ما قالوه فهو الحق.

وآخرون عندهم الإيمان مكارم الأخلاق وحسن المعاملة وطلاقة الوجه وإحسان الظن بكل أحد وتخليهة الناس وغفلاتهم.

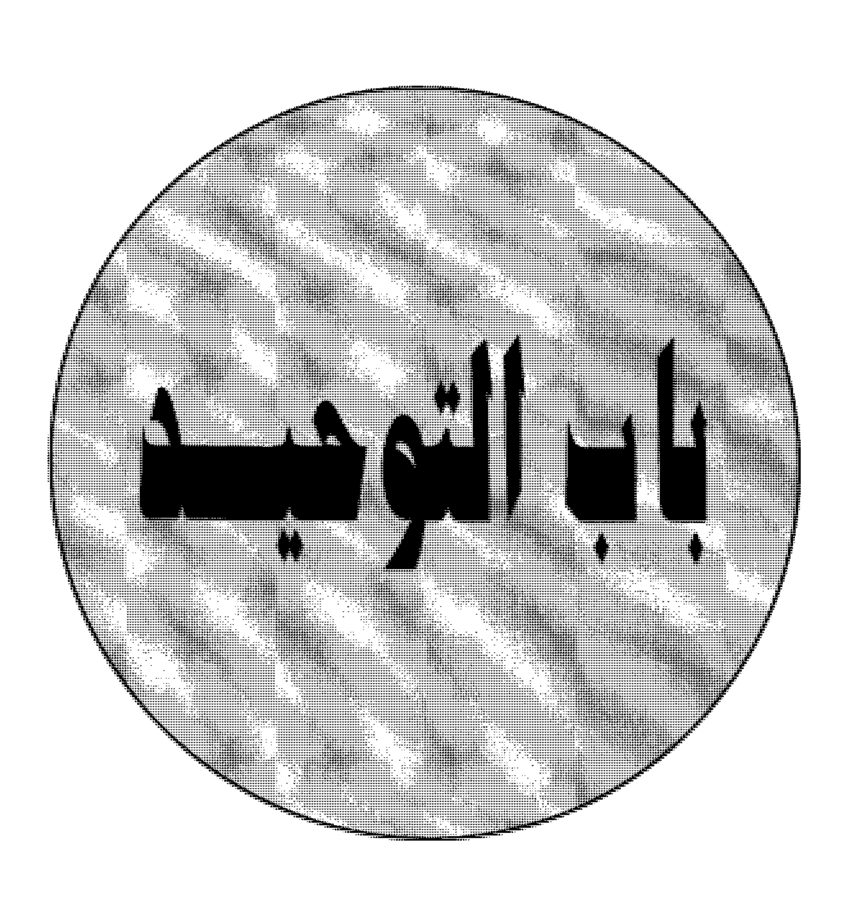
وآخرون عندهم الإيمان التجرُّد من الدنيا وعلائقها وتفريغ القلب منها والزهد فيها. فإذا رأوا رجلاً هكذا جعلوه من سادات أهل الإيمان، وإن كان منسلخًا من

الإيمان علماً وعملاً. وأعلى مِن هؤلاء مَن جعل الإيمان هو مجرد العلم وإن لم يقارنه عمل.

وكل هؤلاء لم يعرفوا حقيقة الإيمان ولا قاموا به ولا قام بهم، وهم أنواع: منهم مَن جعل الإيمان ما يضاد الإيمان، ومنهم مَن جعل الإيمان ما لا يعتبر في الإيمان، ومنهم مَن جعله ما هو شرط فيه ولا يكفي في حصوله، ومنهم مَن اشترط في ثبوته ما يناقضه ويضاده، ومنهم مَن اشترط فيه ما ليس منه بوجه.

والإيمان وراء ذلك كله، وهو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبةً وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذة والدعوة إلية بحسب الإمكان. وكماله في الحب في الله والبغض في الله، والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده. والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسولة ﷺ، وبالله التوفيق.

من كتاب الفوائد لإبن القيم ص ١٩١


باب التوحيد

قال ابن القيم رحمة الله بعد كلام سابق [1]:

وهذا باب من الفروق مطول ولعل إن ساعد القدر أن نفرد فيه كتاباً كبيراً وإنما نبهنا بما ذكرنا [2]على أصوله واللبيب يكتفى ببعض ذلك، والدين كله فرق وكتاب الله فرقان ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فرق بين الناس ومن اتقى الله جعل له فرقانا ﴿ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ وسمى يوم بدر يوم الفرقان لأنه فرق بين أولياء الله وأعدائه فالهدى كله فرقان، والضلال أصله الجمع كما جمع المشركون بين عبادة الله وعبادة الأوثان، وبين ما يحبه ويرضاه وبين ماقدروه وقضاه فجعلوا الأمر واحد واستدلوا بقضائه وقدره على صحبته ورضاه، وجمعوا بين الربا والبيع فقالوا ﴿إنما البيع مثل الربا﴾ وجمعوا بين المذكى والميتة، وقالوا: كيف نأكل ماقتلنا ولانأكل ماقتل الله، وجمع المنسلخون عن الشرائع بين الحلال والحرام فقالوا: هذه المرأة خلقها الله وهذه خلقها وهذا الحيوان خلقه وهذا خلقه فكيف يحل هذا ويحرم هذا؟، وجمعوا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وجاءت طائفة الاتحادية فطموا الوادي على القرى وجمعوا الكل في ذات واحدة وقالوا هي الله الذي لا إله إلا هو، وقال صاحب فصوصهم[3] وواضع نصوصهم، واعلم ان الأمر قرآنا لافرقانا:

ما الأمر إلانسق واحد	مافيه من مدح ولا ذم
وإنما العادة قد خصصت	والطبع والشارع بالحكم

---

(١) الروح ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٢) ذكر قبل هذا فروق كثيرة وهي في السلوك.

(٣) ابن عربي صاحب وحدة الوجود.

والمقصود أن أرباب البصائر هم أصحاب الفرقان فأعم الناس فرقانا بين المشتبهات أعظم الناس بصيرة. والتشابه يقع في الأقوال والأعمال والأحوال والأموال والرجال، وإنما أتى كل أكثر أهل العلم من المتشابهات في ذلك كله ولا يحصل الفرقان إلا بنور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده يرى في ضوئه حقائق الأمور ويميز بين حقها وباطلها وصحيحها وسقيمها ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ ولاتستطل هذا الفصل فلعله من أنفع فصول الكتاب[١] والحاجة إليه شديدة فإن رزقك الله فيه بصيرة خرجت منه إلى فرقان أعظم منه وهو الفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين والفرق بين تنزيه الرسل وتنزيه أهل التعطيل، والفرق بين أثبات الصفات والعلو والتكلم والتكليم حقيقة وبين التشبيه والتمثيل، والفرق بين تجريد التوحيد العملي الإرادي وبين هضم أرباب المراتب مراتبهم التي نزلهم الله إياها، والفرق بين تجريد متابعة المعصوم وبين إهدار أقوال العلماء وإلغائها وعدم الالتفات إليها، والفرق بين تقليد العالم وبين الاستضاءة بنور علمه والاستعانة بفهمه والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والفرق بين الحال الإيماني الرحماني والحال الشيطاني. الكفري والحال النفساني، والفرق بين الحكم المنزل الواجب الاتباع على كل واحد والحكم المؤول الذي نهايته أن يكون جائز الاتباع عند الضرورة ولا درك[٢] على مخالفه.

الفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين:

ونحن نختم الكتاب بإشارة لطيفة إلى الفروق بين هذه الأمور إذ كل فرق منها يستدعي بسطه كتابا كبيراً، فالفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين أن توحيد

(١) كتاب الروح
(٢) أي حَرج.

الرسل إثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل وعبادته وحده لاشريك له فلا يجعل له ندًا في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفظ ولاحلف ولانذر بل يرفع العبد الانداد له من قلبه وقصده ولسانه، وعبادته كما أنها معدومة في نفس الأمر لاوجود لها البتة فلا يجعل لها وجودا في قلبه ولا لسانه. وأما توحيد المعطلين فنفي حقائق أسمائه وصفاته وتعطيلها ومن أمكنه منهم تعطيلها من لسانه عطلها فلا يذكرها ولايذكر آية تتضمنها ولا حديث يصرح بشيء منها؛ ومن لم يمكنه تعطيل ذكرها سطا عليها بالتحريف ونفي حقيقتها، وجعلها اسماً فاعلاً لا معنى له أو معناه من جنس الألغاز والأحاجي على أن من طرّد تعطيله منهم علم أنه يلزمه في ماحرف إليه النص من المعنى نظير ما فّر منه سواء فإن لزمه تمثيل أو تشبيه أو حدوث في الحقيقة لزم في المعنى الذي حصل عليه النص وإن لا يلزم في هذا فهو أولى أن لا يلزم في الحقيقة فلما علم هذا لم يمكنه إلا تعطيل الجميع فهذا طرد لأصل التعطيل والفرق أقرب منه ولكن مناقض يتحكم بالباطل حيث أثبت لله بعض ما أثبته لنفسه ونفى عنه البعض الآخر واللازم الباطل فيهما واحد واللازم الحق لا يفرق بينهما. والمقصود أنهم سموا هذا التعطيل توحيداً، وإنما هو إلحاد في أسماء الرب تعالى وصفاته وتعطيل لحقائقها. (الروح ص ٣٨٦)

الفرق بين تنزيه الرسل وتنزيه المعطلة:

أن الرسل نزهوه سبحانه عن النقائص والعيوب التي نزه نفسه عنها وهي المنافية لكماله وكمال ربوبيته وعظمته كالسنَة والنوم والغفلة والموت واللغوب [١] والظلم وإرادته والتسمي به والشريك والصاحبة والظهير [٢] والولد والشفيع بدون إذنه، وأن يترك عباده سدى هملاً، وأن يكون خلقهم عبثًا، وأن يكون خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً لا لثواب ولا عقاب ولا أمر ولا نهي، وأن يسوي بين أوليائه وأعدائه وبين الأبرار والفجار وبين الكفار والمؤمنين، وأن يكون في ملكه ما لا يشاء، وأن يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه وأن يكون

(١) التعب.
(٢) المعين.

لغيره معه من الأمر شيء وأن يفرض له غفلة أو سهو أو نسيان وأن يخلف وعده أو تبدل كلماته أو يضاف إليه الشر اسمًا أو وصفًا أو فعلاً بل أسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها كمال، وأفعاله كلها خير وحكمة : فهذا تنزيه الرسل لربهم.

وأما المعطلون فنزهوه عما وصف به نفسه من الكمال فنزهوه عن أن يتكلم أو يكلم أحدًا، ونزهوه عن استوائه علي العرش وأن ترفع إليه الأيدي، وأن يصعد إليه الكلم الطيب، وأن ينزل من عنده شيء أو تعرج إليه الملائكة والروح، وأن يكون فوق عباده وفوق جميع مخلوقاته عاليًا، ونزهوه أن يقبض السموات بيده والأرض بيده الأخرى وأن يمسك السموات على إصبع والأرض على أصبع، والشجر على إصبع، ونزهوه أن يكون له وجه يراه المؤمنون بأبصارهم في الجنة وأن يكلمهم ويسلم عليهم ويتجلى لهم ضاحكًا، وأن ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول من يستغفرني فأغفر له من يسألني فأعطيه فلا نزول عندهم ولا قول، ونزهوه أن يفعل شيئًا لشيء بل أفعاله لا لحكمة ولا لغرض مقصود. ونزهوه أن يكون تام المشيئة نافذ الإرادة بل يشاء الشيء ويشاء عباده خلافة فيكون ما شاء العبد دون ما شاء الرب، ولا يشاء الشئ فيكون ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون. وسموا هذا عدلاً كما سموا ذلك التنزيه توحيدًا ونزهوه عن أن يُحِب أو يُحَب ونزهوه عن الرأفة والرحمة والغضب والرضا ونزهه آخرون عن السمع والبصر، وآخرون عن العلم، ونزهه آخرون عن الوجود فقالوا الذي فر إليه هؤلاء المنزهون من التشبيه والتمثيل يلزمنا في الوجود فيجب علينا أن ننزهه عنه. فهذا تنزيه الملحدين والأول تنزيه المرسلين. (الروح ص ٣٨٧)

الفرق بين اثبات حقائق الأسماء والصفات وبين التشبيه والتمثيل :

ماقاله الإمام أحمد ومن وافقه من أئمة الهدى أن التشبيه والتمثيل أن تقول يد[١] كيدي أو سمع كسمعي أو بصر كبصري.

---

(١) أي يد الله تعالى . سمعه وبصره.

وأما إذا قلت سمع وبصر ويد ووجه واستواء لا يماثل شيئًا من صفات المخلوقين بل بين الصفة والصفة من الفرق كما بين الموصوف والموصوف فأي تمثيل ههنا وأي تشبيه لولا تلبيس الملحدين فمدار الحق الذي اتفقت عليه الرسل أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصف به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل، إثبات الصفات ونفي مشابهة المخلوقات فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد حقائق ما وصف الله به نفسه فقد كفر، ومن أثبت له حقائق الأسماء والصفات ونفى عنه مشابهة المخلوقات فقد هدى إلى صراط مستقيم. (الروح ص ٣٨٨)

الفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم أرباب المراتب:

أن تجريد التوحيد أن لا يعطي المخلوق شيئًا من حق الخالق وخصائصه فلا يعبد ولا يصلى له، ولا يسجد ولا يحلف باسمه، ولا ينذر له ولا يتوكل عليه، ولا يؤله ولا يقسم به على الله، ولا يعبد ليقرب إلى الله زلفى ولا يساوى برب العالمين في قول القائل ما شاء الله، وشئت، وهذا منك ومن الله، وأنا بالله وبك وأنا متوكل على الله وعليك، والله لي في السماء وأنت في الأرض، وهذا من صدقاتك وصدقات الله وأنا تائب إلى الله واليك، وأنا في حسب الله وحسبك، فيسجد للمخلوق كما يسجد المشركون لشيوخهم، ويحلق رأسه له، ويحلف باسمه، وينذر له، ويسجد لقبره بعد موته، ويستغيثبه في حوائجه ومهماته ويرضيه بسخط الله، ويتقرب إليه أعظم مما يتقرب إلى الله، ويحبه ويخافه أو يواسيه فإذا هضم المخلوق خصائص الربوبية وأنزله منزلة العبد المحض الذي لا يملك لنفسه فضلاً عن غيره ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا ألم يكن هذا تنقصًا له وحطًا من مرتبته ولو رغم المشركون وقد صح عن سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبدالله

ورسوله. وقال : أيها الناس ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي، وقال لا تتخذوا قبري عيدًا، وقال اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، وقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ، وقال له رجل :ما شاء وشئت فقال : أجعلتني لله ندا؟.

وقال له رجل أذنب: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال : عرف الحق لأهله، وقد قال تعالى : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ وقال : ﴿قل ان الأمر كله لله﴾ وقال : ﴿قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ماشاء الله﴾ وقال : ﴿قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا : قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا﴾ أي لن أجد من دونه من ألتجئ اليه وأعتمد عليه وقال لابنته فاطمة وعمه العباس وعمته صفية : لا أملك لكم من الله شيئًا. وفي لفظ في الصحيح لا أغني عنكم من الله شيئًا، فعظم ذلك على المشركين بشيوخهم وآلهتهم وأبوا ذلك كله وادعوا لشيوخهم ومعبوديهم خلاف هذا كله وزعموا أن من سلبهم ذلك فقد هضمهم مراتبهم وتنقصهم، وقد هضموا جانب الألوهية غاية الهضم وتنقصوه فلهم نصيب وافر من قوله تعالى ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمئزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون﴾. (الروح ص ٣٩٠).

الفرق بين تجريد متابعة المعصوم ﷺ وإهدار أقوال العلماء وإلغائها:

إن تجريد المتابعة أن لا تقدم على ما جاء به قول أحد ولا رأيه كائنًا من كان بل تنظر في صحة الحديث. **أولا** : فإذا صح لك نظرت في معناه.

ثانيًا : فإذا تبين لك لم تعدل عنه ولو خالفك من بين المشرق والمغرب ومعاذ الله أن تتفق الأمة على مخالفة ما جاء به نبيها بل لابد أن يكون في الأمة من قال به ولو لم تعلمه فلا تجعل جهلك بالقائل به حجة على الله ورسوله بل اذهب إلى النص ولا تضعف، واعلم أنه قد قال به قائل قطعًا، ولكن لم يصل إليك، هذا مع

حفظ مراتب العلماء وموالاتهم وأمانتهم واجتهادهم في حفظ الدين وضبطه فهم دائرون بين الأجر والأجرين والمغفرة ولكن لا يوجب هذا إهدار النصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها لشبهة أنه أعلم بها منك. فإن كان كذلك فمن ذهب إلى النص أعلم به منك فهلا وافقته إن كنت صادقًا فمن عرض أقوال العلماء على النصوص ووزنها بها وخالف منها ما خالف النص لم يهدر أقوالهم ولم يهضم جانبهم بل اقتدى بهم فإنهم كلهم أمروا بذلك فمتبعهم حقًّا من امتثل ما أوصوا به لا من خالفهم في القول الذي جاء النص فخلافهم أسهل من مخالفتهم في القاعدة الكلية التي أمروا ودعوا إليها من تقديم النص على أقوالهم.

ومن هنا يتبين الفرق بين تقليد العالم في كل ماقال، وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه، فالأول يأخذ قوله من غير نظر فيه ولا طلب لدليله من الكتاب والسنة بل يجعل ذلك كما الحبل الذي يلقيه في عنقه يقلده به ولذلك سمي تقليدًا بخلاف من استعان بفهمه واستضاء بنور علمه في الوصول إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه فإنه يجعلهم بمنزلة الدليل الأول فإذا وصل إليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره فمن استدل بالنجم على القبلة فإنه إذا شاهدها لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى. قال الشافعي أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ،صلى الله عليه وآله وسلم، لم يكن له أن يدعها لقول أحد (الروح ص ٣٩١).

الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

إن أولياء الرحمن ﴿لاخوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ هم ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ وهم المذكورون في أول سورة البقرة إلى قوله ﴿هم المفلحون﴾ وفي وسطها في قوله ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر﴾ إلى قوله ﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ وفي أول الأنفال إلى قوله ﴿لهم درجات عند ربهم

ومغفرة ورزق كريم﴾ وفي سورة المؤمنين إلى قوله ﴿هم فيها خالدون﴾ وفي آخر سورة الفرقان، وفي قوله ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ إلى آخر الآية وفي قوله ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ وفي قوله ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ وفي قوله ﴿إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ إلى قوله (في جنات مكرمون) وفي قوله ﴿التائبون العابدون الحامدون﴾ إلى آخر الآية.

فأولياء الرحمن هم المخلصون لربهم المحكمون لرسوله في الحلال والحرام الذين يخالفون غيره لسنته ولا يخالفون سنته لغيرها، فلا يبتدعون ولا يدعون إلي بدعه ولا يتحيزون إلى فئة غير الله ورسوله وأصحابه ولا يتخذون دينهم لهواً ولعباً، ولا يستحبون سماع الشيطان على سماع القرآن ولا يؤثرون صحبة القنان على مرضات الرحمن ولا المعازف والأغاني على السبع المثاني:

برئنا إلى الله من معشر بهم مرض مورد للضنا
وكم قلت ياقوم أنتم على شفا جرف من سماع الغنا
فلما استهانوا بتنبيهنا تركنا غويًا وما قد جنا
وهل يستجيب لداعي الهدى غويٌ اصار الغنا ديدنا
فعشنا على ملة المصطفى وماتوا على تاتنا تنتنا

ولا يشتبه أولياء الرحمن بأولياء الشيطان إلا على فاقد البصيرة والإيمان وأني يكون المعرضون عن كتابه وهدى رسوله وسنته المخالفون له إلى غيره أوليائه وقد ضربوا لمخالفته جأشا وعدلوا عن هدى نبيه وطريقته ﴿وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾.

فأولياء الرحمن المتلبسون بما يحبه وليهم الداعون إليه المحاربون لمن خرج عنه، وأولياء الشيطان المتلبسون بما يحبه ولهم قولاً وعملاً يدعون إليه ويحاربون من نهاهم عنه، فإذا رأيت الرجل السماع الشيطاني ومؤذن الشيطان وإخوان الشياطين ويدعو إلى ما يحبه الشيطان من الشرك والبدع والفجور علمت أنه من أوليائه، فإن اشتبه عليك فاكشفه في ثلاثة مواطن في صلاته ومحبته للسنة وأهلها ونفرته عنهم ودعوته إلى الله ورسله وتجريد التوحيد والمتابعة وتحكيم السنة فزنه بذلك لا تزنه بحال، ولا كشف، ولا خارق ولو مشى على الماء وطار في الهواء. (الروح ص ٣٩٢).

الفرق بين الحال الإيماني والحال الشيطاني:

وبهذا يعلم الفرق بين الحال الإيماني والحال الشيطاني فإن الحال الإيماني ثمرة المتابعة للرسول والإخلاص في العمل وتجريد التوحيد ونتيجة منفعة المسلمين في دينهم ودنياهم، وهو إنما يصح في الاستقامة على السنة والوقوف مع الأمر والنهي.

والحال الشيطاني نسبته إما شرك أو فجور وهو ينشأ من قرب الشياطين والاتصال بهم ومشابهتهم وهذا الحال يكون لعباد الأصنام والصلبان والنيران والشيطان فإن صاحبه لما عبد الشيطان خلع عليه حالاً يصطاد به ضعفاء العقول والإيمان ولا إله إلا الله كم هلك بهؤلاء من الخلق: ﴿ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه﴾ فكل حال خرج صاحبه عن حكم الكتاب وما جاء به الرسول فهو شيطاني كائنًا من كان، وقد سمعت بأحوال السحرة وعباد النار وعباد الصليب وكثير ممن ينتسب إلى الإسلام ظاهراً وهو برئ منه في الباطل له نصيب من هذا الحال بحسب موالاته للشيطان ومعاداته للرحمن، وقد يكون الرجل صادقًا ولكن ملبسًا عليه بجهله فيكون حاله شيطانيًا مع زهد وعبادة

وإخلاص، ولكن لبس عليه الأمر لقلة علمه بأمور الشياطين والملائكة وجهله بحقائق الإيمان، وقد حكى هؤلاء وهؤلاء من ليس منهم بل هو متشبه صاحب مخابيل ومخاريق، ووقع الناس في البلاء بسبب عدم التمييز بين هؤلاء وهؤلاء فحسبوا كل سوداء تمرة وكل بيضاء شحمة، والفرقان أعز ما في العالم وهو نور يقذفه الله في القلب يفرق به بين الحق والباطل ويزن به حقائق الأمور خيرها وشرها وصالحها وفاسدها فمن عدم الفرقان وقع، ولابد في إشراك الشيطان فالله المستعان وعليه التكلان (الروح ص ٣٩٣).

الفرق الحكم المنزل الواجب الاتباع والحكم المؤول الذي غايته يكون جائز الاتباع:

إن الحكم المنزل هو الذي أنزله الله على رسول وحكم به بين عباده وهو حكمه الذي لا حكم سواه. وأما الحكم المؤول فهو من أقوال المجتهدين المختلفة التي لا يجب اتباعها ولا يكفر ولا يفسق من خالفها فإن أصحابها لم يقولوا هذا حكم الله ورسوله بل قالوا اجتهدنا برأينا فمن شاء قبله، ولم يلزموا به الأمة بل قال أبو حنيفة هذا رأيي فمن جائنا بخير منه قبلناه. وكذلك مالك استشاره الرشيد أن يحمل الناس على ما في الموطأ فمنعه من ذلك وقال: قد تفرق أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، في البلاد وصار عند كل قوم علم غير ما عند الآخرين.

وهذا الشافعي ينهي أصحابه عن تقليده ويوصيهم بترك قوله إذا جاء الحديث بخلافه، وهذا الإمام أحمد ينكر على من كتب فتاواه ودونها ويقول لا تقلدني ولا تقلد فلاناً ولا فلاناً وخذو من حيث أخذوا. ولو علموا، رضي الله عنهم، أن أقوالهم يجب اتباعها لحرموا على أصحابهم مخالفتهم ولما ساغ لأصحابهم أن يفتوا بخلافهم في شيء. ولما كان أحدهم يقول القول ثم يفتي بخلافه فيروي عنه في المسألة القولان والثلاثة وأكثر من ذلك فالرأي والاجتهاد أحسن أحواله أن يسوغ اتباعه، والحكم المنزل لا يحل لمسلم أن يخالفه ولا يخرج عنه.

وأما الحكم المبدل وهو الحكم بغير ما أنزل الله فلا يحل تنفيذه به ولا يسوغ اتباعه وصاحبه بين الكفر والفسوق والظلم. (الروح ص ٣٩٤).

الفرق بين الحب في الله والحب مع الله وهذا من أهم الفروق:

وكل واحد محتاج بل مضطر إلى الفرق بين هذا وهذا، فالحب في الله هو من كمال الإيمان والحب مع الله هو عين الشرك. والفرق بينهما أن الحب في الله تابع لمحبة الله فإذا تمكنت محبته من قلب العبد أوجبت تلك المحبة أن يحب ما يحبه الله فإذا أحب ما أحبه ربه ووليه كان ذلك الحب له وفيه، كما يحب رسله وأنبياءه وملائكته وأولياءه لكونه تعالى يحبهم، ويبغض من يبغضهم لكونه تعالى يبغضهم وعلامة هذا الحب والبغض في الله أنه لا ينقلب بغضه لبغيض الله حبا لاحسانه إليه وخدمته له وقضاء حوائجه، ولا ينقلب حبه لحبيب الله بغضاً إذا وصل إليه من جهته ما يكرهه ويؤلمه، اما خطأ واما عمدا مطيعا لله فيه أو متأولا أو مجتهدا أو باغيًا نازعًا بائنًا، فمن كان حبه وبغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل الإيمان بحيث إذا أحب أحب لله وإذا ابغض أبغض لله، وإذا فعل فعل لله وإذا ترك ترك لله، وما نقص من أوصافه هذه الأربعة نقص من إيمانه ودينه بحسبه. وهذا بخلاف الحب مع الله فهو نوعان نوع يقدح في أصل التوحيد وهو شرك ونوع يقدح في كمال الإخلاص ولا يخرج من الإسلام.

فالأول: كمحبة المشركين لأوثانهم وأندادهم قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله﴾، وهؤلاء المشركون يحبون أوثانهم وأصنامهم وآلهتهم مع الله، كما يحبون الله فهذه محبة تأله وموالاه يتبعها الخوف والرجاء والعبادة والدعاء وهذه المحبة هي محض الشرك الذي لا يغفره الله، ولا يتم الإيمان إلا بمعاداة هذه الأنداد وشدة بغضها وبغض أهلها ومعادتهم ومحاربتهم وبذلك أرسل الله جميع رسله وأنزل جميع كتبه وخلق النار لأهل هذه

المحبة الشركية وخلق الجنة لمن حارب أهلها وعاداهم فيه وفي مرضاته فكل من عبد شيئًا من لدن عرضه إلى قرار أرضه فقد اتخذ من دون الله إلها ووليًا وأشرك به كائناً ذلك المعبود ما كان ولابد أن يتبرأ منه أحوج ماكان إليه .

والنوع الثاني : محبة ما زينه الله للنفوس من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث فيحبها محبة شهوة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء فهذه المحبة ثلاثة أنواع فإن أحبها لله توصلاً بها إليه واستعانة على مرضاته أثيب عليها وكانت من قسم الحب لله توصلاً بها إليه ويلتذ بالتمتع بها، وهذا حال أكمل الخلق الذي حبب إليه من الدنيا النساء والطيب وكانت محبته لهما عونًا له على محبة الله وتبليغ رسالته والقيام بأمره، وإن أحبها لموافقة طبعه وهواه وإرادته ولم يؤثرها على ما يحبه الله ويرضاه بل نالها بحكم الميل الطبيعي كانت من قسم المباحات ولم يعاقب على ذلك ولكن ينقص من كمال محبته لله والمحبة فيه؛ وإن كانت هي مقصوده ومراده وسعيه في تحصيلها والظفر بها وقدَّمها على ما يحبه الله ويرضاه منه كان ظالماً لنفسه متبعًا لهواه.

فالأول : محبة السابقين.

والثانية : محبة المقتصدين.

والثالثة : محبة الظالمين.

فتأمل هذا الموضوع وما فيه من الجمع والفرق فإنه معترك النفس الأمارة والمطمئنة. والمهدي من هداه الله. (الروح ص ٣٧٧).

الفرق بين التوكل والعجز

إن التوكل عمل القلب وعبوديته اعتمادًا على الله وثقة به وإلتجاء إليه وتفويضاً إليه ورضا بما يقضيه له لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليه

مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها فقد كان رسول الله، صلى الله وآله وسلم، أعظم المتوكلين وكان يلبس لامته ودرعه بل ظاهر يوم أحد بين درعين واختفى في الغار ثلاثاً فكان متوكلاً في السبب لا على السبب.

وأما العجز فهو تعطيل الأمرين أو أحدهما فأما أن يعطل السبب عجزاً منه ويزعم أن ذلك توكل ولعمر الله أنه لعجز وتفريط وأما أن يقوم بالسبب ناظراً إليه معتمداً عليه غافلاً عن المسبب معرضاً عنه، وإن خطر بباله لم يثبت معه ذلك الخاطر ولم يعلق قلبه به تعلقاً تاماً بحيث يكون قلبه مع الله وبدنه مع السبب فهذا توكله عجز وعجزه توكل.

وهذا الوضع انقسم فيه الناس طرفين ووسطاً (فأحد الطرفين) عطل الأسباب محافظة على التوكل.

والثاني عطل التوكل محافظة على السبب، (والوسط) عليم أن حقيقة التوكل لا يتم إلا بالقيام بالسبب فتوكل على الله في السبب نفسه. وأما من عطل السبب وزعم أنه متوكل فهو مغرور ومخدوع متمنٍ كمن عطل النكاح والتسري وتوكل في حصول الولد، وعطل الحرث والبذور وتوكل في حصول الزرع، وعطل الأكل والشرب وتوكل في حصول الشبع والري، فالتوكل نظير الرجاء. والعجز نظير المنى فحقيقة التوكل أن يتخذ العبد ربه وكيلاً له قد فوض إليه كما يخوض الموكل إلى وكيله العالم بكفايته ونهضته ونصحه وأمانته وخبرته وحسن اختياره والرب سبحانه قد أمر عبده بالاحتيال وتوكل له أن يستخرج له من حيلته ما يصلحه فأمره أن يحرث ويبذر ويسعى ويطلب رزقه في ضمان ذلك كما قدره سبحانه ودبره واقتضته حكمته وأمره أن لا يعلق قلبه بغيره بل يجعل رجاءه له وخوفه منه وثقته به وتوكله عليه وأخبره سبحانه بالوكالة الوفي بالكفالة فالعاجز من رمى هذا كله وراء ظهره وقعد كسلان طالباً للراحة مؤثراً للبدعة يقول

الرزق، يطلب صاحبه كما يطلب أجله وسيأتيني ما قدر لي على ضعفي ولن أنال ما لم يقدر لي مع قوتي ولو أني هربت من رزقي كما أهرب من الموت للحقني فيقال له نعم هذا كله حق وقد علمت أن الرزق مقدر فما يدريك كيف قدر لك، بسعيك أم بسعي غيرك.

وإذا كان بسعيك فبأي سبب ومن أي وجه، وإذا خفي عليك هذا كله فمن أين علمت أن يقدر لك إتيانه عفواً بلا سعي ولا كد فكم من شيء سعيت فيه فقدر لغيرك وكم من شيئ سعى فيه غيرك فقدر لك رزقًا! فإذا رأيت هذا عيانًا فكيف علمت أن رزقك كله بسعى غيرك؟. وأيضًا فهذا الذي أوردته عليك النفس يجب عليك طرده في جميع الأسباب مع مسبباتها حتى في أسباب دخول الجنة والنجاة من النار فهل تعطلها اعتمادًا على التوكل أم تقوم بها مع التوكل؟ بل لن تخلو الأرض من متوكل صير نفسه لله وملأ قلبه من الثقة به ورجاءه وحسن الظن به فضاق قلبه مع ذلك عن مباشرة بعض الأسباب فسكن قلبه إلى الله واطمأن إليه ووثق به.

وكان هذا من أقوى حصول أسباب رزقه فلم يعطل السبب وإنما رغب عن سبب إلى سبب أقوى منه فكان توكله أوثق الأسباب عنده، فكان اشتغال قلبه بالله وسكونه إليه وتضرعه إليه أحب إليه من اشتغاله بسبب يمنعه من ذلك أو من كماله فلم يتسع قلبه للأمرين فأعرض عن أحدهما إلى الآخر ولا ريب أن هذا أكمل حالاً ممن امتلأ قلبه بالسبب واشتغل به عن ربه وأكمل منهما من جمع الأمرين وهي حال الرسل والصحابة، فقد كان زكريا نجارًا.

وقد أمر الله نوحًا أن يصنع الفلك ولم يكن في الصحابة من يعطل السبب اعتمادًا على التوكل بل كانوا أقوم الناس بالأمرين ألا ترى أنهم بذلوا جهدهم في محاربة أعداء الدين وألسنتهم وقاموا في ذلك بحقيقة التوكل وعمروا أموالهم وأصلحوها وأعدوا لأهليهم كفايتهم من القوت اقتداء بسيد المرسلين، صلوات الله عليه وآله وسلم. (الروح ص ٣٧٩).

الفرق بين إلقاء الملك وإلقاء الشيطان من وجوه :

منها: أن ما كان لله موافقًا لمرضاته وما جاء به رسوله فهو من الملك، وما كان لغيره غير موافق لمرضاته فهو من إلقاء الشيطان.

ومنها: أن ما أثمر إقبالاً على الله وإنابة إليه وذكر له وهمة صاعدة إليه فهو من إلقاء الملك، وما أثمر ضد ذلك من إلقاء الشيطان.

ومنها: أن ما أورث أنسًا ونورًا في القلب وانشراحًا في الصدر فهو من الملك وما أورث ضد ذلك فهو من الشيطان.

ومنها: أن ما أورث سكينة وطمأنينة فهو من الملك وما أورث قلقًا وانزعاجًا واضطرابًا فهو من الشيطان (فللإلهام الملكي) يكثر في القلوب الطاهرة النقية التي استنارت بنور الله فللملك بها اتصال وبينه وبينها مناسبة فإنه طيب طاهر لا يجاور إلا قلبًا يناسبه فتكون لمة الملك بهذا القلب أكثر من لمة الشيطان وأما القلب المظلم الذي قد اسود بدخان الشهوات والشبهات فإلقاء الشيطان ولمته به أكثر من لمة الملك. (الروح ص ٣٨٠)

الفرق بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق :

الأمر المطلق والجرح المطلق والعلم المطلق والترتيب المطلق والبيع المطلق والماء المطلق والملك المطلق غير مطلق الأمر والجرح والعلم إلى آخرها والفرق بينهما من وجوه: (أحدهما) أن الأمر المطلق لا ينقسم إلى أمر الندب وغيره فلا يكون موردا للتقسيم. ومطلق الأمر ينقسم إلى إيجاب وأمر ندب فمطلق الأمر ينقسم والأمر المطلق غير منقسم، (الثاني) أن الأمر المطلق فرد من أفراد مطلق الأمر ولا ينعكس، (الثالث) أن نفي مطلق الأمر يستلزم نفي الأمر المطلق دون العكس، (الرابع) أن ثبوت مطلق الأمر لا يستلزم ثبوت الأمر المطلق دون العكس؛

(الخامس) أن الأمر المطلق مقيد بالإطلاق لفظا مجرد عن التقييد معنى ومطلق الأمر مجرد عن التقييد لفظًا نوع لمطلق الأمر ومطلق الأمر جنس للأمر المطلق؛ (السادس) أن الأمر المطلق مستعمل في المقيد وغيره معنى؛ (السابع) أن الأمر المطلق لا يصلح للمقيد ومطلق الأمر يصلح للمطلق والمقيد؛ (الثامن) أن الأمر المطلق هو المقيد بقيد الإطلاق فهو متضمن للإطلاق والتقييد، ومطلق الأمر غير مقيد وإن كان بعض أفراده غير مقيد؛ (التاسع) أن من بعض أمثلة هذه القاعدة الإيمان المطلق ومطلق الإيمان فالإيمان المطلق لا يطلق إلا على الكامل الكمال المأمور به ومطلق الإيمان يطلق على الناقص والكامل، ولهذا نفى النبي ﷺ الإيمان المطلق عن الزاني وشارب الخمر والسارق ولم ينف عنه مطلق الإيمان لئلا يدخل في قوله ﴿والله ولي المؤمنين﴾ ولا في قوله ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ ولا في قوله ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ إلى آخر الآيات ويدخل في قوله ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ وفي قوله ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) وفي قوله﴿لا يقتل مؤمن بكافر﴾ وأمثال ذلك.

فلهذا كان قوله تعالى ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ نفيًا للإيمان المطلق لا لمطلق الإيمان لوجوه. منها أنه أمرهم أو أذن لهم أن يقولوا أسلمنا والمنافق لا يقال له ذلك. ومنها أنه قال ﴿قالت الأعراب﴾ ولم يقل قال المنافقون، ومنها أن هؤلاء الجفاة الذين نادوا الرسول ﷺ من وراء الحجرات ورفعوا أصواتهم فوق صوته غلظة منهم وجفاء لا نفاقًا وكفرًا. ومنها أنه قال ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبهم﴾ ولم ينف دخول الاسلام في قلوبهم ولو كانوا منافقين لنفى عنهم الإسلام كما نفى الإيمان. ومنها أن الله تعالى قال ﴿وان تطيعوا الله ورسوله لا يلِتكم من أعمالكم شيئًا ﴾ أي لا ينقصكم والمنافق لا طاعة له. ومنها أنه قال ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ اسلامكم﴾ فأثبت لهم إسلامًا

ونهاهم أن يمنوا على رسول الله ﷺ ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً لقال لم تسلموا بل أنتم كاذبون كما كذبهم في قولهم ﴿نشهد أنك لرسول الله﴾ لما لم تطابق شهادتهم اعتقادهم. ومنها أنه قال ﴿بل الله يمن عليكم﴾ ولو كانوا منافقين لما من عليهم. ومنها أنه قال (أن هداكم للإيمان) ولا ينافي هذا قوله ﴿قل لم تؤمنوا﴾ فإنه نفى الإيمان المطلق ومن عليهم بهدايتهم إلى الإسلام الذي هو متضمن لمطلق الإيمان. ومنها أن النبي ﷺ لما قسم القسم قال له سعد أعطيت فلاناً وتركت فلاناً وهو مؤمن فقال أو مسلم ثلاث مرات وأثبت له الإسلام دون الإيمان. وفي الآية أسرار بديعة ليس هذا موضعها. والمقصود الفرق بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان. فالإيمان المطلق يمنع دخول النار ومطلق الإيمان يمنع الخلود فيها.

- (العاشر) أنك إذا قلت الأمر المطلق فقد أدخلت اللام على الأمر وهي تفيد العموم والشمول ثم وصفه بعد ذلك بالإطلاق بمعنى انه لم يقيد بقيد يوجب تخصيصه من شروط أو صفة أو غيرها فهو عام في كل فرد من الأفراد التي هذا شأنها، وأما مطلق الأمر فالإضافة فيه ليست للعموم بل للتمييز فهو قدر مشترك مطلق لاعام فيصدق بفرد من أفراده وعلى هذا فمطلق البيع جائز والبيع المطلق ينقسم إلى جائز وغيره والأمر المطلق للوجوب ومطلق الأمر ينقسم إلى. الواجب والمندوب والماء طهور ومطلق الماء ينقسم إلى طهور وغيره. والملك المطلق هو الذي يثبت للحر ومطلق الملك يثبت للعبد. (فإذا قيل) العبد هل يملك أم لا يملك كان الصواب إثبات مطلق الملك له دون الملك المطلق، (وإذا قيل) الفاسق مؤمن أو غير مؤمن فهو على هذا التفصيل والله تعالى أعلم. فبهذا التحقيق يزول†الإشكال في مسألة المندوب هل هو مأمور به أم لا وفى مسألة الفاسق الملي هل هو مؤمن أم لا. (البدائع ٤/١٦-١٨).

ومنها [1] أنه يسلبه اسم المؤمن كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال :(لا

(١) أي من مضار الزني وهذا الكلام تابع للفرق بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق.

يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) فسلبه اسم الإيمان المطلق وإن لم يسلب عنه مطلق الإيمان. وسئل جعفر بن محمد عن هذا الحديث فخط دائرة في الأرض وقال: هذه دائرة الإيمان، ثم خط دائرة أخرى خارجة عنها وقال: هذه دائرة الإسلام، فإذا زنى العبد خرج من هذه ولم يخرج من هذه. ولا يلزم من ثبوت جزء ما من الإيمان له. أن يسمى مؤمنًا، كما أن الرجل يكون معه جزء من العلم والفقه ولا يسمى به عالمًا فقيهًا، ومعه جزء من الشجاعة والجود ولا يسمى بذلك شجاعًا ولا جوادًا، وكذلك معه شيء من التقوى ولا يسمى تقيًا. ونظائره فالصواب إجراء الحديث على ظاهره ولا يتأول بما يخالف ظاهره والله أعلم. (روضة المجين ٢٦٠).

الفرق بين المحبة والرضا والمشيئة والإرادة الكونية:

الفرق بين محبة الله ورضاه ومشيئته وإرادته الكونية، ومنشأ الضلال في هذا الباب: من التسوية بينهما، أو اعتقاد تلازمها. فسوى بينهما الجبرية والقدرية، وقالو: المشيئة والمحبة سواء، أو متلازمان.

ثم اختلفوا. فقالت الجبرية: الكون كله – قضاؤه وقدره، طاعته ومعاصيه، خيره وشره – فهو محبوبه.

ثم من تعبد منهم، وسلك على هذا الاعتقاد: رأى أن الأفعال جميعها محبوبة للرب. إذ هي صادرة عن مشيئته. وهي عين محبته ورضاه. وفنى في هذا الشهود الذي كان اعتقادًا. ثم صار مشهدًا. فلزم من ذلك ما تقدم، من أنه لا يستقبح سيئة، ولا يستنكرمنكرًا. وتلك اللوازم الباطلة المنافية للشرائع جملة.

ولما ورد على هؤلاء قوله تعالى ﴿والله لا يحب الفساد﴾﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ وقوله تعالى ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾ واعتاص عليهم كيف

يكون مكروهًا له. وقد أراد كونه؟ وكيف لا يحبه، وقد أراد وجوده؟ أولوا هذه الآيات ونحوها بأنه لا يحبها دينًا. ولا يرضاها شرعًا. ويكرهها كذلك، بمعنى أنه لا يشرعها، مع كونه يحب وجودها ويريده.

فشهدوا في مقام الفناء كونها محبوبة الوجود. ورأوا أن المحبة تقتضي موافقة المحبوب فيما يحبه. والكون كله محبوبه. فأحبوا - بزعمهم - جميع ما في الكون، وكذبوا وتناقضوا. فإنما أحبوا ما تهواه نفوسهم وإرادتهم. فإذا كان في الكون مالا يلائم أحدهم ويكره طبعه: أبغضه، ونفر منه وكرهه، مع كونه مرادًا للمحبوب. فأين الموافقة؟ وإنما وافقوا أهوائهم وإرادتهم.

ثم بنوا على ذلك أنهم مأمورين بالرضا بالقضاء. وهذه من قضائه فنحن نرضى بها. فمالنا ولإنكارها ومعاداة فاعليها، ونحن مأمورين بالرضا بالقضاء؟ فتركب من اعتقادهم: كونها محبوبة للرب، وكونهم مأمورون بالرضابها، والتسوية بين الأفعال، وعدم استقباح شيء منها أو إنكاره وانضاف إلى ذلك اعتقادهم جبر العبد عليها، وأنها ليست فعله.

فلزم من ذلك: رفع الأمر والنهي، وطي بساط الشرع، والاستسلام للقدر، والذهاب معه حيث كان. وصارت لهم هذه العقائد مشاهد، وكل أحد إذا ارتاض وصفا باطنه: تجلى له فيه صورة معتقده. فهو يشاهدها بقلبه فيظنها حقًا. فهذا حال هذه الطائفة.

وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له. فليست مقدرة له ولا مقضية. فهي خارجة عن مشيئته وخلقه.

قالوا: ونحن مأمورون بالرضا بالقضاء، ومأمورون بسخط هذه الأفعال وبغضها وكراهتها فليست إذا بقضاء الله. إذ الرضا والقضاء متلازمين، كما أن

محبته ومشيئته متلازمان، أو متحدان.

وهؤلاء لا يجيء من سالكيهم وعبادهم ما جاء من سالكي الجبرية وعبادهم البتة، لمنافاة عقائدهم لمشاهد أولئك وعقائدهم. بل غايتهم: التعبد والورع. وهم في تعظيم الذنوب والمعاصي خير من أولئك. وأولئك قد يكونون أقوى حالاً وتأثيراً منهم.

فمنشأ الغلط: التسوية بين المشيئة والمحبة، واعتقادهم وجوب الرضا بالقضاء، ونحن نبين ما في الفصلين -إن شاء الله تعالى. فإن القوة لله جميعاً.

أما المشيئة، والمحبة: فقد دل الفرق بينهما القرآن والسنة، والعقل والفطرة، وإجماع المسلمين. قال الله تعالى (٤:١٠٧ يستخفون من الناس، ولا يستخفون من الله وهو معهم. إذ يبيتون مالا يرضى من القول) فقد أخبر أنه لا يرضى بما يبيتونه من القول، المتضمن البهت، ورمي البريء، وشهادة الزور، وبراءة الجاني. فإن الآية نزلت في قصة هذا شأنها، مع أن ذلك كله بمشيئته. إذ أجمع المسلمون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. ولم يخالف في ذلك إلا القدرية المجوسية، الذين يقولون: يشاء مالا يكون. ويكون مالا يشاء.

وتأويل من تأول الآية على أنه لا يرضاه ديناً، مع محبته لوقوعه: مما ينبغي أن يصان كلام الله عنه. إذ المعنى عندهم: أنه محبوب لو. ولكن لا يثاب فاعله عليه. فهو محبوب بالمشيئة، غير مثاب عليه شرعاً.

ومذهب سلف الأمة وأئمتها: أنه مسخوط للرب، مكروه له قدراً وشرعاً.

مع أنه وجد بمشيئته وقضائه. فإنه يخلق ما يحب وما يكره. وهذا كما أن الأعيان كلها خلقه. وفيها ما يبغضه ويكرهه - كإبليس وجنوده، وسائر الأعيان الخبيثة - وفيها ما يحبه ويرضاه - كأنبيائه ورسله، وملائكته وأوليائه - وهكذا

الأفعال كلها خلقه. ومنها ما هو محبوب له وما هو مكروه له. خلقه لحكمة له في خلق ما يكره ويبغض كالأعيان. وقال تعالى (٢:٢٠٧ والله لا يحب الفساد) مع أنه بمشيئته وقضائه وقدره. وقال تعالى (٣٩: ٧ إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر. وإن تشكروا يرضه لكم) فالكفر والشكر واقعان بمشيئته وقدره. واحداهما محبوب له مرضى والآخر مبغوض له مسخوط.

وكذلك قوله – عقيب مانهى عنه من الشرك والظلم والفواحش والكبر – (١٧:٣٨ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً) فهو مكروه له، مع وقوعه بمشيئته وقضائه وقدره.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله كره لكم ثلاثا : قيل وقال. وكثرة السؤال. وإضاعة الأموال) فهذه كراهة لموجود تعلقت به المشيئة وفي المسند (إن الله يحب أن يؤخذ برخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته) فهذه صحبة وكراهة لأمرين موجودين، اجتمعا في المشيئة وافترقا في المحبة والكراهة. وهذا في الكتاب والسنة أكثر من أن يذكر جميعه.

وقد فطر الله عباده على قولهم: هذا الفعل يحبه الله. وهذا يكرهه ويبغضه وفلان يفعل مالا يحبه الله. والقرآن مملوء بذكر سخطه وغضبه على أعدائه. وذلك صفة قائمة به، يترتب عليها العذاب واللعنة. لا أن السخط هو نفسه العذاب واللعنة بل هما أثر السخط والغضب وموجبهما. ولهذا يفرق بينهما كما قال تعالى (٤:٩٢ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها. وغضب الله عليه ولعنه. وأعد له عذابا عظيما) ففرق بين عذابه وغضبه ولعنته. وجعل كل واحد غير الآخر. وكان من دعاء النبي ﷺ : (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك. وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك).

فتأمل ذكر استعاذته ﷺ بصفة (الرضا) من صفة (السخط) وبفعل (المعافاة) من

فعل (العقوبة) فالأول للصفة، والثاني : لأثرها المترتب عليها. ثم ربط ذلك كله بذاته سبحانه، وأن ذلك كله راجع إليه وحده لا إلى غيره. فما أعوذ منه: واقع بمشيئتك وإرادتك. وما أعوذ به : من رضاك ومعافاتك هو بمشيئتك وإرادتك، ان شئت أن ترضى عن عبدك وتعافيه، وإن شئت أن تغضب عليه وتعاقبه. فإعاذني مما أكره وأحذر، ومنعه أن يحل بي : هو بمشيئتك أيضاً.

فالمحبوب والمكروه كله بقضائك ومشيئتك. فعياذي بك منك: عياذي بحولك وقوتك، وقدرتك ورحمتك وإحسانك، مما يكون بحولك وقوتك وقدرتك وعدلك وحكمتك فلا أستعيذ بغيرك من غيرك. ولا أستعيذ إلا بك من شيء هو صادر عن مشيئتك وخلقك. بل هو منك. ولا أستعيذ بغيرك من شيء هو صادر عن مشيئتك وقضائك، بل أنت الذي تعيذني بمشيئتك مما هو كائن بمشيئتك. فأعوذ بك منك.

ولا يعلم ما في هذه الكلمات - من التوحيد والمعارف والعبودية - إلا الراسخون في العلم بالله ومعرفته، ومعرفة عبوديته.

وأشرنا إلي شيء يسير من معناه. ولو استقصينا شرحها لقام منه سِفْر ضخم. ولكن قد فتح لك باب. فإن دخلت رأيت مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

والمقصود : أن انقسام الكون في أعيانه وصفاته وأفعاله إلي محبوب للرب مرضى له، ومسخوط مبغوض له، مكروه له: أمر معلوم بجميع أنواع الأدلة، من العقل والنقل، والفطرة والاعتبار. فمن سوى بين ذلك كله فقد خالف فطرة الله التي فطر عليها عباده. وخالف المعقول والمنقول. وخرج عما جاءت به الرسل. ولأي شيء نوّع الله سبحانه العقوبات البليغة في الدنيا والآخرة. وأشهد عباده منها ما أشهدهم ؟، لولا شدة غضبه وسخطه على الفاعلين لما اشتدت كراهته وبغضه له. فأوجبت تلك الكراهة والبغض منه : وقوع أنواع المكاره بهم، كما أن

محبته لما يحبه من الأفعال ويرضاه : أوجبت وقوع أنواع المحاب لمن فعلها.

وشهود ما في العالم من إكرام أوليائه، وإتمام نعمه عليهم، ونصرهم وإعزازهم وإهانة أعدائه، وعقوبتهم وإيقاع المكاره بهم: من أدل الدليل على حبه وكراهته، بل نفس موالاته لمن والاه، ومعادته لمن عاداه : هي عين محبته وبغضه. فإن الموالاة : أصلها الحب. والمعاداه : أصلها البغض. فإنكار صفة (المحبة، والكراهة) إنكار لحقيقة (الموالاة والمعاداة).

وبالجملة : فشهود القلب لمحبته وكراهته، كشهود العيان لكرامته وإهانته.

وأما حديث ((الرضا بالقضاء)) فيقال :

أولاً : بأي كتاب أم بأي سنة، أم بأي معقول: علمتم وجود الرضا بكل ما يقضيه ويقدره؟، بل بجواز ذلك، فضلا عن وجوبه؟ هذا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأدلة العقول ليس فيها شيء منها الأمر بذلك، ولا إباحته بل من المقضي ما يرضى به، ومنه ما يسخطه ويمقته. فلا نرضى بكل قضاء كما لا يرضى به القاضي لأقضيته سبحانه. بل من القضاء ما يسخطه، كما أن من الأعيان المقضية: ما يغضب عليه، ويمقت عليه، ويلعن ويذم.

ويقال ثانيًا : ها هنا أمران (قضاء) وهو فعل قائم بذات الرب تعالى، و(مقضي) وهو المفعول المنفصل عنه. فالقضاء خير كله. وعدل وحكمة. فيرضى به كله، والمقضي قسمان. منه ما يرضى به، ومنه مالا يرضى به.

وهذا جواب من يقول : الفعل غير المفعول. والقضاء غير المقضي. وأما من يقول : إن الفعل هو عين المفعول. والقضاء هو عين المقضي، فلا يمكنه أن يجيب بهذا الجواب.

ويقال ثالثاً : القضاء له وجهان.

أحدهما : تعلقه بالرب تعالى، ونسبته إليه. فمن هذا الوجه : يرضى به كله. الوجه الثاني : تعلقه بالعبد، ونسبته إليه. فمن هذا الوجه : ينقسم إلى ما يرضى به، وإلى مالا يرضى به. مثال ذلك : قتل النفس - مثلاً - له اعتباران فمن حيث قدره الله وقضاه وكتبه وشاءه، وجعله أجلاً للمقتول، ونهاية لعمره : يرضى به. ومن حيث أنه صدر من القاتل، وباشره وكسبه، وأقدم عليه باختياره، وعصى الله بفعله : يسخط ولا يرضى عنه.

فهذه نهاية أقدام العالم، المقرين بالنبواءت في هذه المسألة، ومفترق طرقهم. قد حصرت لك أقوالهم ومآخذهم، وأصول تلك الأقوال، بحيث لا يشذ منها شيء.

وبالله التوفيق.

ولا تنكر الإطالة في هذا الموضوع فإنه مزلة أقدام الخلق. وما نجا من معاطبه إلا أهل البصائر والمعرفة بالله وصفاته وأمره وشرائعه. (المدارج ١/٢٥١-٢٥٧)

الفرق بين الحقيقة الدينية والحقيقة الشرعية :

حظ الحقيقة الدينية: القيام بأمره ونهيه، ومحبة ما يحبه، وكراهة ما يكره، وموالاة من والاه، ومعاداة من عاداه. وأصل ذلك : الحب فيه والبغض فيه.

وحظ الحقيقة الكونية : إفراده بالافتقار إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه والإلتجاء إليه، وإفراده بالسؤال والطلب، والتذلل والخضوع، والتحقق بأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يملك أحد سواه لهم ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، وأنه مقلب القلوب. فقلوبهم ونواصيهم بيده، وإنه ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابعه، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه.

فلهذه الحقيقة عبودية. ولهذه الحقيقة عبودية. ولا تبطل إحداهما الأخرى. بل لا تتم إلا بهما. ولا تتم العبودية إلا بمجموعها. وهذا حقيقية قوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ بخلاف من أبطل حقيقة ﴿اياك نعبد﴾ بحقيقة ﴿إياك نستعين﴾ وقال: إنها جمع ﴿وإياك، نعبد﴾ فرق. (المدارج ١٦٢/١)

الفرق بين سلام الله على رسله وعباده وبين سلام العباد عليهم:

الفرق بين سلام الله على رسله وعباده وبين سلام العباد عليهم ان سلام العباد لما كان متضمناً لفوائد الألف واللام التي تقدمت من قصد التبرك باسمه السلام والإشاره إلى طلب السلام له وسؤالها من الله باسم السلام وقصد عموم السلام[1] كان الأحسن في حق المسلم على الرسول أن يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وإن كان قد ورد سلام عليك فالمعرفة أكثر وأصح وأتم معنى فلا ينبغي العدول عنه ويُشح في هذا المقام بالألف واللام والله أعلم. (البدائع ١٦٧/٢)

الفرق بين الحمد والمدح وبين الثناء والمجد

[2] والفرق بينهما أن الحمد يتضمن الثناء مع العلم بما يثني به فإن تجرد عن العلم كان مدحا ولم يكن حمدا فكل حمد مدح دون العكس ومن حيث كان يتضمن العلم بخصال المحمود جاء حمده [3] على حمد بالكسر موازناً لعلم ولم يجئ كذلك مدح فصار المدح في الأفعال الظاهرة كالضرب ونحوه ومن ثم لم تجد في الكتاب والسنة حمد ربنا فلاناً ويقول مدح الله فلاناً وأثنى على فلاناً، ولا تقول حمد إلا لنفسه ولذلك قال سبحانه الحمد لله بلام الجنس المفيدة للاستغراق فالحمد كله له أما ملكاً وأما استحقاقاً فحمده لنفسه استحقاق وحمد العباد له وحمد بعضهم لبعض ملك له فلو حمد هو غيره لم يسع أن يقال في ذلك الحمد ملك له لأن الحمد كلامه ولم

(١) وقال ابن القيم رحمه الله قبل هذا الكلام أن الله تعالى مستغنياً عن هذه الأمور الأربع.
(٢) هذا من كلام السهيلي.
(٣) أي الله تعالى.

يسغ أن يضاف إليه على جهة الاستحقاق وقد تعلق بغيره فإن قيل أليس ثناؤه ومدحه لأوليائه إنما هو بما علم فلم لا يجوز أن يسمى حمدًا قيل لا يسمى حمدًا على الإطلاق إلا ما يتضمن العلم بالمحاسن على الكمال وذلك معدوم في غيره سبحانه فإذا مدح فإنما يمدح بخصلة هي ناقصة في حق العبد هو أعلم بنقصانها وإذا حمد نفسه حمد بما علم من كمال صفاته قلت[١] ليس ما ذكره من الفرق بين الحمد والمدح باعتبار العلم وعدمه صحيحًا فإن كل واحد منهما يتضمن العلم بما يحمد به غيره ويمدحه فلا يكون مادحًا من لم يعرف صفات المحمود والممدوح فكيف يصح قوله إن تجرد عن العلم كان مادحًا بل إن تجرد عن العلم كان كلامًا بغير علم فإن طابق فصدق وإلا فكذب.

وقوله ومن ثم لم يجئ في الكتاب والسنة حمد ربنا فلانًا، يقال وأين جاء فيهما مدح فلانًا وقد جاء في السنة ماهو أخص من الحمد وهو الثناء الذي هو تكرار المحامد كما في قول النبي ﷺ لأهل قباء: ما هذا الطهور الذي أثني الله عليكم به فإذا كان قد أثنى عليهم والثناء حمد متكرر فما يمنع حمده لمن شاء من عباده، ثم الصحيح في تسمية النبي ﷺ محمدًا أنه الذي يحمده الله وملائكته وعباده المؤمنون، وأما من قال الذي يحمده أهل السموات وأهل الأرض فلا ينافي حمد الله تعالى بل حمد أهل السموات والأرض له بعد حمد الله له فلما حمده الله أهل السموات والأرض وبالجملة فإذا كان الحمد ثناءً خاصًا على المحمود لم يمتنع أن يحمد الله من يشاء من خلقه كما يثني عليه فالصواب في الفرق بين الحمد والمدح أن يقال الأخبار عن محاسن الغير أما أن يكون إخبارًا مجردًا من حب وإرادة أو مقرونًا بحبه وإرادته فإن كان الأول فهو المدح وإن كان الثاني فهو الحمد فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، ولهذا كان كل خبر يتضمن الإنشاء بخلاف المدح فإنه خبر مجرد فالقائل إذا قال الحمد لله أو قال ربنا لك

(١) ابتدأ كلام ابن قيم الجوزية.

الحمد تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه تعالى باسم جامع محيط متضمن لكل فرد من أفراد الحمد المحققة والمقدرة، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه ولا تنبغي إلا لمن هذا شأنه وهو الحميد المجيد. ولما كان هذا المعنى مقارنًا للحمد لا تقوم حقيقته إلا به فسره من فسره بالرضى والمحبة وهو تفسير له بجزء مدلوله بل هو رضاء ومحبة مقارنة للثناء ولهذا السرا والله أعلم. جاء فعله على بناء الطبائع والغرائز فقيل حمد لتضمنه الحب الذي هو بالطبائع والسجايا أولى وأحق من فهم وحذر وسقم ونحوه بخلاف الإخبار المجرد عن ذلك وهو المدح فإنه جاء على وزن فعل فقالوا مدحه لتجرد معناه من معاني الغرائز والطبائع فتأمل هذه النكتة البديعة وتأمل الإنشاء الثابت في قولك ربنا لك الحمد وقولك الحمد لله كيف تجده تحت هذه الألفاظ، ولذلك لا يقال موضعها المدح لله ولا ربنا لك المدح وسره ما ذكرت لك من الإخبار بمحاسن المحمود إخبارًا مقترنًا بحبه وإرادته وإجلاله وتعظيمه (فإن قلت) فهذا ينقض قولكم أنه لا يمتنع أن يحمد الله تعالى من شاء من خلقه فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء ولا يستحق التعظيم غيره فكيف يعظم أحدًا من عباده، قلت المحبة لا تنفك عن تعظيم وإجلال للمحبوب ولكن يضاف إلى كل ذات بحسب ما تقتضيه خصائص تلك الذات فمحبة العبد لربه تستلزم إجلاله وتعظيمه وكذلك محبة الرسول تستلزم توقيره وتعزيزه وإجلاله وكذلك محبة الوالدين والعلماء وملوك العدل وأما محبة الرب عبده فإنها تستلزم إعزازه لعبده وإكرامه إياه والتنويه بذكره وإلقاء التعظيم والمهابة له في قلوب أوليائه فهذا المعنى ثابت في محبته وحمده لعبده سمي تعظيمًا وإجلالاً أو لم يسم ألا ترى أن محبته سبحانه لرسله كيف اقتضت أن نوه بذكرهم في أهل السماء والأرض ورفع ذكرهم على ذكر غيرهم وغضب على من لم يحبهم ويوقرهم ويجلهم وأحل به أنواع العقوبات في الدنيا والآخرة وجعل كرامته في الدنيا والآخرة لمحبيهم وأنصارهم وأتباعهم أولا

ترى كيف أمر عباده بالصلاة التي هي تعظيم وثناء على خاتمهم وأفضلهم صلوات الله عليه وسلامه. أفليس هذا تعظيماً لهم وإعزازاً واكراماً وتكريماً (فإن قيل) فقد ظهر الفرق بين الحمد والمدح واستبان صبح المعنى واسفر وجهه فما الفرق بينهما وبين الثناء والمجد (قيل) قيل قد تعدينا طورنا فيما نحن بصدده، ولكن نذكر الفرق تكميلاً للفائدة فنذكر تقسيماً جامعاً لهذه المعاني الأربعة أعني الحمد والمدح والثناء والمجد فنقول الإخبار عن محاسن الغير له ثلاثة اعتبارات. اعتبار من حيث المخبر به. واعتبار من حيث الإخبار عنه بالخبر. واعتبار من حيث حال المخبر، فمن حيث الاعتبار الأول ينشأ التقسيم إلي الحمد والمجد فإن المخبر به إما أن يكون من أوصاف العظمة والجلال والسعة وتوابعها أو من أوصاف الجمال والإحسان وتوابعها فإن كان الأول فهو المجد وإن كان الثاني فهو الحمد وهذا لأن لفظ مجد في لغتهم يدور في معنى الاتساع والكثرة فمنه قولهم أمجد الدابة علفاً أي أوسعها علفاً، ومنه مجد الرجل فهو ماجد إذا كثر خيره وإحسانه إلى الناس، وقال الشاعر:

أنت تكون ماجد نبيل   إذا تهب شمأل بليل

ومنه قولهم في شجر الغار واستمجد المرخ والعفار [1] أي كثرت النار فيهما ومن حيث اعتبار الخبر نفسه ينشأ التقسيم إلى الثناء والحمد فإن الخبر عن المحاسن أما متكرر أولا، فإن تكرر فهو الثناء وإن لم يتكرر فهو الحمد فإن الثناء مأخوذ من الثني وهو العطف ورد الشيء بعضه على بعض ومنه ثنيت الثوب ومنه التثنيه في الاسم فالمثني مكرر لمحاسن من يثني عليه مرة بعد مرة ومن جهة اعتبار حال المخبر ينشأ التقسيم إلى المدح والحمد فإن المخبر عن محاسن الغير إما أن يقترن باخباره حب له وإجلال أولا فإن اقترن به الحب فهو الحمد وإلا فهو المدح فحصل هذه الأقسام وميزها ثم تأمل تنزيل قوله تعالى فيما رواه عنه رسول الله

(١) المرخ شجر سريع الوَرْي، والعفار شجر يُتخذ منه الزناد ا هـ من القاموس.

ﷺ حين يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي فإذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى عليّ عبدي لأنه كرر حمده فإذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي فإنه وصفه بالملك والعظمة والجلال فاحمد الله على ما ساقه إليك من هذه الأسرار والفوائد عفواً لم تسهر فيها عينك. ولم يسافر فيها فكرك عن وطنه ولم تتجرد في تحصيلها عن مألوفاتك بل هي عرائس معان تجلى عليك وتزف إليك فلك لذة التمتع بها ومهرها على غيرك، لك غنمها وعليه غرمها. (بدائع الفوائد ٢/٩٢-٩٦).

الفرق بين الفأل والطيرة:

الفأل والطيرة وإن كان مأخذهما سواء ومجتناهما واحد فإنهما يختلفان بالمقاصد ويفترقان بالمذاهب فما كان محبوباً مستحسناً تفاءلوا به وسموه الفأل وأحبوه ورضوه، وما كان مكروهاً قبيحاً منفراً تشاءموا به وكرهوه وتطيروا منه وسموه طيرة تعرفة بين الأمرين وتفصيلاً بين الوجهين؛ وسئل بعض الحكماء فقيل له ما بالكم تكرهون الطيرة وتحبون الفأل فقال لنا في الفأل عاجل البشرى وإن قصر عن الأمل ونكره الطيرة لما يلزم قلوبنا من الوجل وهذا الفرقان حسن جداً، وأحسن منه ما قاله ابن الرومي في ذلك الفأل لسان الزمان والطيرة عنوان الحدثان وقد كانت العرب تقلب الأسماء تطيراً أو تفاؤلاً فيسمون اللديغ سليماً باسم السلامة وتطيراً من اسم السقم، ويسمون العطشان ناهلاً أي سينهل والنهل الشرب تفاؤلاً باسم الرى ويسمون الفلاة مفازة أي منجاة تفاؤلاً بالفوز والنجاة، ولم يسموها مهلكة لأجل الطيرة وكانت لهم مذاهب في تسمية أولادهم فمنهم من سموه بأسماء تفاؤلاً بالظفر على أعدائهم نحو غالب وغلاب ومالك وظالم وعارم ومنازل ومقاتل ومعارك ومسهر ومؤرق ومصبح وطارق ومنهم من تفأل بالسلام كتسمتهم بسالم وثابت ونحوه ومن من تفاءل بنيل الحظوظ، والسعادة

كسعد وسعيد وأسعد ومسعود وسعدي وغانم، ونحو ذلك ومنهم من قصد لتسميته بأسماء السباع ترهيبا لأعدائهم نحو أسد وليث وذئب وضرغام وشبل ونحوها، ومنهم من قصد التسمية بما غلظ وخشن من الأجسام تفاؤلاً بالقوة كحجر وصخر وفِهْر [١] وجندل ومنهم من كان يخرج من منزله وامرأته تمخض فيسمى ما تلده باسم أول ما يلقاه كائنًا ما كان من سبع أو ثعلب أو ضب أو كلب أو ظبي أو حشيش أو غيره وكان القوم على ذلك إلي أن جاء الله بالاسلام ومحمد رسوله، ﷺ ،ففرق به بين الهدى والضلال والغي والرشاد وبين الحسن والقبيح والمحبوب والمكروه والضار والنافع والحق والباطل فكره الطيرة وأبطلها واستحب الفأل وحمده فقال «لا طيرة وخيرها الفأل» قالوا وما الفأل قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدهم وقال عبدالله بن عباس لا طيرة ولكنه فأل، والفأل المرسل يسار وسالم ونحوه من الاسم يعرض لك على غير ميعاد وسئل بعض العلماء عن الفأل، فقال: أن تسمع وأنت قد أضللت بعيرًا ياواجدا أو أنت خائف ياسالم وقال الأصمعي سألت ابن عون عن الفأل فقال أن يكون مريضاً فيسمع ياسالم وأخبرك[٢] عن نفسي من ذلك وهي أني أضللت بعض الأولاد يوم التروية بمكة وكان طفلا فجهدت في طلبه والنداء عليه في سائر الركب إلى وقف يوم الثامن فلم أقدر علي خبر فيأست منه فقال لي انسان ان هذا عجز اركب وادخل الآن إلي مكة فتطلبه فيها فركبت فرسا فما هو إلا أن استقبلت جماعة يتحدثون في سواد الليل في الطريق وأحدهم يقول ضاع له شيء فلقيه فلا أدري انقضاء كلمته كان أسرع أم وجداني الطفل مع بعض أهل مكة في محملة عرفته بصوته فقوله ﷺ ولا طيرة وخيرها الفأل ينفي عن الفأل مذهب الطيرة من تأثير أو فعل أو شركة ويخلص الفأل منها وفي الفرقان بينهما فائدة كبيرة وهي أن التطير هو التشاؤم من الشيء

(١) الحجر.
(٢) القائل ابن القيم.

المرئي أو المسموع فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفره وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك بل ولجه وبرئ من التوكل على الله وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله والتطير مما يراه أو يسمعه وذلك قاطع له عن مقام اياك نعبد واياك نستعين وأعبده وتوكل عليه وعليه توكلت وإليه أنبيب فيصير قلبا متعلقا بغير الله عبادة وتوكلا فيفسد عليه قلبه وإيمانه. (مفتاح دار السعادة ٢/٢٤٥-٢٤٦).

الفرق بين التائب من قريب وتوبة المعاين :

والفرق بين هذا [١] وبين المعاين، ومن ورد القيامة : أن التكلفة قد انقطع بالمعاينة وورود القيامة. والتوبة إنما تكون في زمن التكليف. وهذا العاجز لم ينقطع عنه التكليف. فالأوامر والنواهي لازمة له. والكف متصور منه عن التمني والوداد، والأسف على فوته، وتبديل ذلك بالندم والحزن على فعله. والله أعلم. (المدارج ص ٢٨٦ الجزء الأول).

الفرق بين الحجة والبينة :

والمقصود الفرق بين الحجج والبينات. فنقول الحجج الأدلة العلمية [٢] والبينات جمع بينة وهي صفة في الأصل يقال آية بينة وحجة بينة والبينة اسم لكل ما يبين الحق من علامة منصوبة أو أمارة أو دليل علمي. قال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) فالبينات الآيات التي أقامها الله دلالة على صدقهم من المعجزات والكتاب هو الدعوة وقال تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم) ومقام إبراهيم آية جزئية مرئية بالأبصار وهو من آيات الله الموجودة في العالم. ومنه قول موسى

(١) أي التائب من قريب.
(٢) وقال في صفحة ١٤٤ الجزء الأول الحجج هي الأدلة العلمية التي يعقلها القلب وتسمع بالآذان.

لفرعون وقومه ﴿قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه﴾ وكان القاء العصا وانقلابها هو البينة، وقال قوم هود ﴿ياهود ما جئتنا ببينة﴾ يريدون آية الاقتراح وإلا فهو قد جاءهم بما يعرفون به أنه رسول الله اليهم فطلب الآية بعد ذلك تعنت واقتراح لا يكون لهم عذر في عدم الإجابة إليه وهذه هي الآيات التي قال الله تعالى فيها (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) فعدم اجابته سبحانه اليها اذ طلبها الكفار رحمة منه واحسان فإنه جرت سنته التي لا تبديل لها أنهم إذا طلبوا الآية واقترحوها وأجيبوا ولم يؤمنوا عوجلوا بعذاب الاستئصال فلما علم سبحانه أن هؤلاء لا يؤمنون ولو جائتهم كل آية لم يجبهم إلي ما طلبوا فلم يعمهم بعذاب لما أخرج من بنيهم وأصلابهم من عبادة المؤمنين وإن أكثرهم آمن بعد ذلك بغير الآيات التي اقترحوها فكان عدم انزال الآيات المطلوبة من تمام حكمة الرب واحسانه بخلاف الحجج فانها لم تزل متتابعة يتلو بعضها بعضا وهي كل يوم في مزيد وتوفى رسول الله ﷺ وهي أكثر ما كانت وهي باقية إلى يوم القيامة. (مفتاح دار السعادة ص ١٤٧ الجزء الأول).

الفرق بين تكفير السيئات ومغفرة الذنوب

الفرق بين تكفير السيئات ومغفرة الذنوب. قد جاء في كتاب الله تعالى ذكرهما مقترنين، وذكر كل منهما منفردا عن الآخر، فالمقترنان كقوله تعالى حاكيا عن عباده المؤمنين (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار) والمنفرد كقوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) وقوله في المغفرة (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) وكقوله (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا) ونظائره.

فهاهنا أربعة أمور : ذنوب ، وسيئات ، ومغفرة ، وتكفير .

فالذنوب : المراد بها الكبائر ، والمراد بالسيئات : الصغائر ، وهي ما تعمل فيه الكفارة ، من الخطأ وما جرى مجراه. ولهذا جعل لها التكفير . ومنه أخذت الكفارة. ولهذا لم يكن لها سلطان ولا عمل في الكبائر في أصح القولين. فلا تعمل في قتل العمد. ولا في اليمين الغموس في ظاهر مذهب أحمد وأبي حنيفة.

والدليل على أن السيئات هي الصغائر ، والتكفير لها : قوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول (الصلوات الخمس ، والجمعة إلي الجمعة، ورمضان إلي رمضان: مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر).

ولفظ (المغفرة) أكمل من لفظ (التكفير) ولهذا كان مع الكبائر ، والتكفير مع الصغائر . فإن لفظ (المغفرة) يتضمن الوقاية والحفظ. ولفظ (التكفير) يتضمن الستر والإزالة، وعند الأفراد : يدخل كل منهما في الأخر . كما تقدم. بل التكفير المفرد يتناول أسواء الأعمال. كما قال تعالى (ليكفر الله عنهم أسواء الذي عملوا) وإذا فهم هذا فهم السر في الوعد على المصائب والهموم والغموم والنصب والوصب بالتكفير دون المغفرة. كقوله في الحديث الصحيح (ما يصيب الإنسان من هم ولا غم ولا أذى – حتى الشوكة يشاكها – إلا كفر الله بها من خطاياه) فإن المصائب لا تستقل بمغفرة الذنوب. ولا تغفر الذنوب جميعها إلا بالتوبة، أو بحسنات تتضاءل وتتلاشى فيها الذنوب. فهي كالبحر لا يتغير بالجيف. وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث.

فلأهل الذنوب ثلاثة أنهار عظام يتطهرون بها في الدنيا. فإن لم تفِ بطهرهم طهروا في نهر الجحيم يوم القيامة : نهر التوبة النصوح ، ونهر الحسنات المستغرقة للأوزار المحيطة بها، ونهر المصائب العظيمة المكفرة. فإذا أراد الله بعبد

خيرا أدخله أحد هذه الأنهار الثلاثة. فورد القيامة طيبا طاهرا، فلم يحتج إلي التطهير الرابع . (المدارج ١/٣١٠-٣١٢)

الفرق بين إضافة العلم إلى الله تعالى وعدم إضافة المعرفة إليه

فالفرق بين إضافة العلم اليه تعالى وعدم اضافة المعرفة لاترجع إلى الافراد والتركيب في متعلق العلم وإنما ترجع إلي نفس المعرفة ومعناها فإنها في مجاري استعمالها إنما تستعمل فيما سبق تصوره من نسيان أو ذهول أو عزوب عن القلب فإذا تصور وحصل في الذهن قيل عرفه أو وصف له صفته ولم يره فإذا رآه بتلك الصفة وتعينت فيه قيل عرفه الا ترى انك اذا غاب عنك وجه الرجل ثم رأيته بعد زمان فتبينت أنه هو قلت عرفته وكذلك عرفت اللفظة وعرفت الديار وعرفت المنزل وعرفت الطريق (وسر المسألة) ان المعرفة لتمييز ما اختلط فيه المعروف بغيره فاشتبه بالمعرفة تمييز له وتعيين ومن هذا قوله تعالى (يعرفونه كما يعرفون أبنائهم) فأنهم كان عندهم من صفته قبل أن يروه ما طابق شخصه عند رؤيته وجاء كما يعرفون ابناءهم من باب ازدواج الكلام وتشبيه أحد اليقينين بالآخر فتأمله وقد بسطنا هذا في كتاب التحفة المكية[1] وذكرنا فيها من الأسرار والفوائد مالا يكاد يشتمل عليه مصنف. (البدائع ص ٦٢ الجزء الثاني).

[2]قلت وقع في القرآن لفظ (المعرفة) ولفظ (العلم) فلفظ (المعرفة) كقوله (مما عرفوا من الحق) وقوله (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم).

وأما لفظ (العلم) فهو أوسع اطلاقا، كقوله (فأعلم أنه لا اله الا الله) وقوله (شهد الله أنه لا اله إلا هو) وقوله (الذين آتيانهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) وقوله (قل ربي زدني علما) وقوله (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك

(١) من كتب ابن القيم المفقودة اللهم يسر إخراجه.
(٢) من كلام ابن القيم في هذا الفرق في كتاب المدارج.

الحق كمن هو أعمى؟) وقوله (قل هي يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون؟) وقوله (وقال الذي أتوا العلم : ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) وقوله (وتلك الأمثال نضربها للناس . وما يعقلها إلا العالمون) وقوله (قال الذي عنده علم من الكتاب) وقوله (اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها) وقوله (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهوا) وقوله (واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه) وقوله (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) وهذا كثير.

واختار الله لنفسه اسم (العلم) وما تصرف منه. فوصف نفسه بأنه عالم، وعليم، وعلام، وعلِمَ، ويعلم. وأخبر أن له علما، دون لفظ (المعرفة) في القرآن.

ومعلوم أن الاسم الذي اختاره الله لنفسه أكمل نوعه المشارك له في معناه.

وإنما جاء لفظ (المعرفة) في القرآن في مؤمني أهل الكتاب خاصة. كقوله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون – إلى قوله – مما عرفوا من الحق) وقوله (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم) . المدارج ٣/٣٣٤-٣٣٥).

دخول الاستثناء على المستقبل دون الماضي وسر الفرق في ذلك

الفرق بين البابين أن الأمور الماضية قد علم أنها وقعت بمشيئة الله، والشرط انما يؤثر في المستقبل، فلا يصح أن يقول : قمت أمس ان شاء الله، فلو آراد الاخبار عن وقوعها بمشيئة الله أتى بغير صيغة الشرط، فيقول فعلت كذا بمشيئة الله وعونه وتأييده، ونحو ذلك بعد قوله ونحو ذلك سقط كثير وهو بخلاف قوله غدا أفعل ان شاء الله وأما قوله (قم ان شاء الله) ولا (لا تقم إن شاء الله) فلا فائدة في هذا الكلام إذ قد عُلم أنه لايفعل إلا بمشيئة الله فأي معنى لقوله : إن شاء الله لك القيام فقم وإن لم يشأه فلا تقم ؟ نعم لو أراد بقوله قم أولا تقم الخبر وأخرجه مخرج الطلب تأكيدًا أي تقوم إن شاء الله صح ذلك كما إذا قال : مُتْ على الإسلام

إن شاء الله ولا تمت إلا على توبه إن شاء الله ونحو ذلك. وكذا ان اراد بقوله (قم ان شاء الله) رد المشيئة إلى معنى خبري، أي ولا تقوم إلا أن شاء الله، فهذا صحيح مستقيم لفظا ومعنى، (وأما بعت إن شاء الله، واشتريت ان شاء الله) فإن أراد به التحقيق صح وانعقد العقد، وان أراد به التعليق لم يكن المذكور انشاء، وتنافي الانشاء والتعليق، إذ زمن الإنشاء يقارن وجود معناه، وزمن وقوع المعلق يتأخر عن التعليق، فتنافيا. (إعلام الموقعين ص ٧٦ الجزء الرابع).

الفرق بين المعية المطلقة ومطلق المعية

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال غير واحد من السلف: هم أصحاب محمد ﷺ، ولا ريب أنهم أئمة الصادقين، وكل صادق بعدهم فبهم يأتم في صدقه، بل حقيقة صدقه اتباعه لهم وكونه معهم، ومعلوم أن من خالفهم في شيء - وإن وافقهم في غيره - لم يكن معهم فيما خالفهم فيه، وحيينئذ فيصدق عليه أنه ليس معهم، فتنتفي عنه المعية المطلقة، وإن ثبت له قسط من المعية فيما وافقهم فيه، فلا يصدق عليه أنه معهم بعذا القسط، وهذا كما نفى الله ورسوله الإيمان المطلق عن الزاني والشارب والسارق والمنتهب بحيث لا يستحق اسم المؤمن وأن لم ينتف عنه مطلق الاسم الذي يستحق لأجله أن يقال: معه شيء من الإيمان، وهذا كما أن اسم الفقيه والعالم عند الاطلاق لا يقال لمن معه مسألة أو مسألتان من فقه وعلم، وإن قيل: معه شيء من العلم. ففرق بين المعيه المطلقة ومطلق المعيه، ومعلوم أن المأمور به الأول لا الثاني، فإن الله تعالى لم يرد منا أن نكون معهم في شيء من الأشياء وأن نُحَصّل من المعية ما يطلق عليه الاسم، وهذا غلط عظيم في فهم مراد الرب تعالى من أوامره، فإذا أمرنا بالتقوي والبر والصدق والعفة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحو ذلك لم يرد منا أن نأتي من ذلك بأقل ما يطلق عليه الاسم وهو مطلق الماهية المأمور بها بحيث

نكون ممتثلين لأمره إذا أتينا بذلك، وتمام تقرير هذا الوجه بما تقدم في تقرير الأمر بمتابعتهم سواء (الاعلام ١٣٢ الجزء الرابع).

الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية

وتحقيق القول في ذلك(١) أنه يمتنع اطلاق ارادة الشر عليه وفعله نفيا واثباتا لما في اطلاق لفظ الارادة والفعل من ايهام المعنى الباطل ونفي المعنى الصحيح. فإن الإرادة تطلق بمعنى المشيئة وبمعنى المحبة والرضا.

فالأول كقوله (إن كان الله يريد أن يغويكم) وقوله (ومن يُرد أن يضله) وقوله (وإذا آردنا أن نهلك قرية) والثاني كقوله (والله يريد أن يتوب عليكم) وقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر). فالارادة بالمعنى الأول تستلزم وقوع المراد ولا تستلزم محبته والرضا به. وبالمعنى الثاني لا يستلزم وقوع المراد وتستلزم محبته. فإنها لا تنقسم، بل كل ما أراده من أفعاله فهو محبوب مرضى له. ففرق بين ارادة أفعاله وارادة مفعولاته، فإن أفعاله خير كلها وعدل مصلحة وحكمة لا شر فيها بوجه من الوجوه.

وأما مفعولاته فهي مورد الإنقسام. وهذا إنما يتحقق على قول أهل السنة ان الفعل غير المفعول والخلق غير المخلوق، كما هو الموافق للعقول والفطر واللغة ودلالة القرآن والحديث واجماع أهل السنة، كما حكاه البغوي في شرح السنة عنهم. وعلى هذا فهاهنا ارادتان ومرادان: ارادة أن يفعل، ومرادها فعله القائم به. وارادة أن يفعل عبده، ومرادها مفعوله المنفصل عنه، وليس بمتلازمين. فقد يريد من عبده أن يفعل ولا يريد من نفسه اعانته على الفعل وتوفيقه له وصرف موانعه عنه كما أراد من ابليس أن يسجد لآدم ولم يرد من نفسه أن يعينه على السجود ويوفقه له ويثبت قلبه عليه ويصرفه اليه. ولو أراد ذلك منه لسجد له لا

(١) وهو هل ينسب إلى الله تعالى إرادة الشر وفعله.

محالة، وقوله: (فعال لما يريد) اخباره عن ارادته لفعله لا لأفعال عبيده. وهذا الفعل والإرادة لا ينقسم إلى خير وشر كما تقدم. وعلى هذا فإذا قيل هو مريد للشر أوهم أنه محب له راض به. وإذا قيل أنه لم يرده أوهم أنه لم لا يخلقه ولا كونه. وكلاهما باطل. ولذلك إذا قيل ان الشر فعله أو انه يفعل الشر أوهم ان الشر فعله القائم به، وهذا محال. وإذا قيل لم يفعله أو ليس بفعل له أوهم أنه لم يخلقه ولم يكونه، وهذا محال. فانظر ما في اطلاق هذه الالفاظ في النفي والاثبات من الحق والباطل الذي يتبين بالاستقصاء والتفصيل.

وإن الصواب في هذا الباب مادل عليه القرآن والسنة من أن الشر لايضاف إلى الرب تعالى لاوصفا ولا فعلا، ولايتسمى باسمه بوجه من الوجوه. وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العموم، كقوله تعالى (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق) فما هاهنا موصولة أو مصدرية. والمصدر بمعنى المفعول، أي من الشر الذي خلقه، أو من شر مخلوقه، وقد يحذف فاعله كقوله حكاية عن مؤمني الجن (وانا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم آراد بهم ربهم رشدا) وقد يسند إلى محله القائم به كقول إبراهيم الخليل (الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين) وقول الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها) وقال في بلوغ الغلامين (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) وقد جمع الأنواع الثلاثة في الفاتحة في قوله (اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) والله تعالى إنما نسب إلى نفسه الخير دون الشر فقال تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) وأخطاء من قال المعنى بيدك الخير والشر لثلاثة أوجه احدها أنه ليس في اللفظ ما يدل على إرادة هذا المحذوف بل ترك ذكره قصراً أو بيانا أنه

ليس بمراد الثاني أن الذي بيد الله تعالى نوعان فضل وعدل كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما انفق منذ خلق الخلق فإنه لن يغض ما في يمينه وبيده الآخرى القسط يخفض ويرفع»فالفضل لإحدى اليدين والعدل للأخرى وكلاهما خير لا شر فيه بوجه الثالث أن قول النبي ﷺ «لبيك وسعديك والخير بيديك والشر ليس اليك» كالتفسير للآية ففرق بين الخير والشر وجعل أحدهما في يدى الرب سبحانه وقطع إضافة الآخر اليه مع اثبات عموم خلقه لكل شيء. (شفاء العليل ص ٤٤٧).

الفرق بين الحكم والقضاء الكوني والشرعي

الحكم والقضاء نوعان : ديني وكوني. فالديني يجب الرضا به، وهو من لوازم الاسلام، والكوني منه ما يجب الرضا به، كالنعم التي يجب شكرها ومن تمام شكرها الرضا بها، ومنه ملا يجوز الرضا به كالمعائب والذنوب التي يسخطها الله وإن كانت بقضائه وقدره، ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب. وفي وجوبه قولان، هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضي، وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله، كعلمه وكتابه وتقديره ومشيئته، فالرضا به من تمام الرضا بالله ربا والها ومالكا ومدبرا، فبهذا التفصيل يتبين الصواب ويزول اللبس في هذه المسألة العظيمة التي هي مفرق طرق بين الناس.

(شفاء العليل ص ٤٦١)

الفرق بين القضاء والحكم والإرادة الكوني والشرعي

في انقسام القضاء والحكم والإرادة والكتابة والأمر والأذن والجعل والكلمات والبعث والارسال والتحريم والإيتاء إلى كوني متعلق بخلقه، وإلى ديني متعلق بأمره، وما يحقق ذلك من إزالة اللبس والاشكال.

فما كان من كوني فهو متعلق بربوبيته وخلقه. وما كان من الديني فهو متعلق بإلاهيته وشرعه. وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر. فالخلق قضاؤه وقدره وفعله. والأمر شرعه ودينه. فهو الذي خلق وشرع وأمر. وأحكامه جارية على خلقه قدرا وشرعا. ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري. وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار والفساق. والأمران غير متلازمين. فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره. ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده وإيمانهم. وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر. وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي فيما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور. وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي.

إذا عرفت ذلك فالقضاء في كتاب الله نوعان كوني وقدري، كقوله (فلما قضينا عليه الموت) وقوله (وقضى بينهم بالحق)، وشرعي ديني، كقوله: (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه) أي أمر وشرع. ولو كان قضاء كونيا لما عبد غير الله.

والحكم أيضا نوعان. فالكوني كقوله (قال رب احكم بالحق) أي افعل ما تنصر به عبادك وتخذل به أعدائك. والديني كقوله: (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) وقوله (ان الله يحكم ما يريد) وقد يرد بالمعنيين معا، كقوله (ولا يشرك في حكمه أحد) فهذا يتناول حكمه الكوني وحكمه الشرعي. والإرادة أيضا نوعان: فالكونية كقوله تعالى (فعال لما يريد) وقوله (وإذا أردنا أن نهلك قرية) وقوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) وقوله (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض). والدينية كقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله (والله يريد أن يتوب عليكم) فلو كانت هذه الإرادة كونية لما حصل العسر لأحد منا، ولا وقعت التوبة من جميع المكلفين. وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر والإرادة

هل هما متلازمان أم لا. (شفاء العليل ٤٦٥)

الفرق بين الكلمات والبعث والارسال والتحريم والإيتاء الكوني والشرعي

وأما الكلمات الكونية فكقوله (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) وقوله (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا) وقوله ﷺ (أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق) فهذه الكلمات الكونية التي يخلق بها ويكون. ولو كانت الكلمات الدينية التي يأمر بها وينهي لكانت مما يجاوزهن الفجار والكفار، وأما الديني فكقوله (وإنْ أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع الله) والمراد به القرآن، وقوله ﷺ في النساء (واستحللتم فروجهن بكلمة الله) أي اباحته ودينه، وقوله تعالى (فانكحوا ماطاب لكم من النساء) وقد اجتمع النوعان في قوله (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) فكتبه كلماته التي يأمر بها وينهي ويحرم، وكلماته التي يخلق بها ويكون. فأخبر أنها ليست جهمية تنكر كلمات دينه وكلمات تكوينه وتجعلها خلقا من جملة مخلوقاته.

وأما البعث الكوني فكقولة (فإذا جاء وعد أولادهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد) وقولة (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض) وأما البعث الديني فكقوله (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) وقوله (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين).

وأما الارسال الكوني فكقوله (ألم ترَ أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزرهم أزا) وقوله (وهو الذي أرسل الرياح) وأما الديني فكقولة (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) وقوله (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا).

وأما التحيرم الكوني فكقوله (وحرمنا عليه المراضع من قبل) وقوله (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة) وقوله (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لايرجعون) وأما التحريم الديني فكقوله (حرمت عليكم أمهاتكم) و (حرمت عليكم الميتة) و (حرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) (وأحل الله البيع وحرم الربا).

وأما الايتاء الكوني فكقوله (والله يؤتي ملكه من يشاء وقوله (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء) وقوله (وآتيناهم ملكا عظيما). وأما الايتاء الديني فكقوله (وما آتاكم الرسول فخذوه) وقوله (خذوا ما آتيناكم بقوة)، وأما قوله (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) فهذا يتناول النوعين، فإنه يؤتيها من يشاء أمرا ودينا وتوفيقا والهاما.

وأنبياؤه ورسله وأتباعهم حظهم من هذه الأمور الديني منها، وأعداؤه واقفون مع القدر الكوني، فحيث ما مال القدر مالوا معه. فدينهم دين القدر، ودين الرسل وأتباعهم دين الأمر. فهم يدينون بأمره ويؤمنون بقدره، وخصماء الله يعصون أمره ويحتجون بقدره، ويقولون نحن واقفون مع مراد الله. نعم مع مراده الكوني لا الديني، ولاينفعكم وقوفكم مع المراد الكوني، ولا يكون ذلكم عذرا لكم عنده، إذ لو عذر بذلك لم يذم أحد من خلقه، ولم يعاقبه، ولم يكن في خلقه عاص ولا كافر، ومن زعم ذلك فقد كفر بالله وكتبه كلها وجميع رسله.

وبالله التوفيق. (شفاء العليل ص ٤٦٩).

الفرق بين الكتابة والأمر والأذن والجعل الكوني والشرعي

وأما الكتابة فالكونية كقوله (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) وقوله (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) وقوله (كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهدية إلى عذاب السعير) والشرعية الأمرية كقوله (كتب عليكم الصايم) وقوله (حرمت عليكم أمهاتكم) إلى قوله (كتاب الله عليكم) وقوله

(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس)فالأولى كتابه بمعنى القدر. والثانية كتابة بمعنى الأمر.

والأمر الكوني كقوله (إنما أمره إذا اراد شيء أن يقول له كن فيكون) وقوله (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) وقوله (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) فهذا أمر تقديري كوني لا أمر ديني شرعي، فإن الله لا يأمر بالفحشاء. والمعنى قضينا ذلك وقدرناه. وقالت طائفة: بل هو أمر ديني، والمعنى امرناهم بالطاعة فخالفونا وفسقوا.

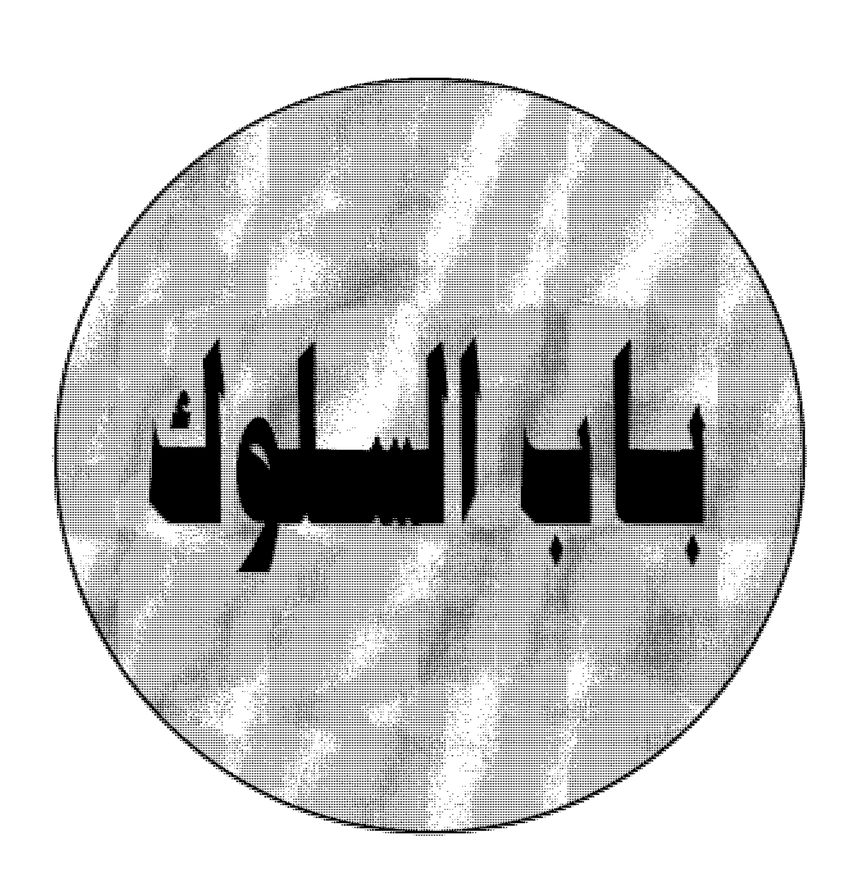
والقول الأول أرجح لوجوه: أحدهما أن الأضمار على خلاف الأصل، فلا يصار اليه إلا إذا لم يمكن تصحيح الكلام بدونه. الثاني أن ذلك يستلزم اضمارين، أحدهما أمرناهم بطاعتنا، والثاني فخالفونا أو عصونا، ونحو ذلك. الثالث أن ما ما بعد الفاء في مثل هذا التركيب هو المأمور به نفسه، كقولك: أمرته ففعل وأمرته فقام وأمرته فركب. لايفهم المخاطب غير هذا. الرابع أنه سبحانه جعل سبب هلاك القرية أمره المذكور. ومن المعلوم أن أمره بالطاعة والتوحيد لا يصلح أن يكون سبب الهلاك، بل هو سبب للنجاة والفوز، فإن قيل أمره بالطاعة مع الفسق هو سبب الهلاك، قيل هذا يبطل بالوجه الخامس، وهو أن هذا الأمر لايختص بالمترفين، بل هو سبحانه يأمر بطاعته واتباع رسله المترفين وغيرهم، فلا يصح تخصيص الأمر بالطاعة بالمترفين، يوضحه الوجه السادس أن الأمر لو كان بالطاعة لكان هو نفس إرسال رسله اليهم، ومعلوم أنه لا يحسُن أن يقال أرسلنا رسلنا إلى مترفيها ففسقوا فيها، فإن الارسال لو كان. إلى المترفين لقال من عداهم نحن لم يرسل الينا. السابع أن ارادة الله سبحانه لأهلاك القرية انما يكون بعد ارسال الرسل اليهم وتكذيبهم، وإلا فقيل ذلك هو لا يريد اهلاكهم، لأنهم معذورون بغفلتهم، وعدم بلوغ الرسالة اليهم قال تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون). فإذا أرسل الرسل فكذبوهم يوم أراد اهلاكها فأمر

رؤسائها ومترفيها أمرا قدريا كونيا لاشرعيا دينيا بالفسق في القرية فاجتمع أهلها على تكذيبهم وفسق رؤسائهم، فحينئذ جاءها أمر الله وحق عليها قوله بالهلاك. والمقصود ذكر الأمر الكوني والديني. ومن الديني قوله (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) وقوله (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وهو كثير.

وأما الإذن الكوني فكقوله تعالى « وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله» أي بمشيئته وقدره.

وأما الديني فكقوله «ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباءذن الله» أي بأمره ورضاه وقوله«قل آرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله آذن لكم بهذا أم على الله تفترون» وقوله «أم لهم شركاء وشرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله» وأما الجعل الكوني فكقوله «إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلي الأذقان فهم مقمحون. وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا» وقوله «ويجعل الرجس على الذيب لايعقلون» وقوله «والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا» وهو كثير.

وأما الجعل الديني فكقوله «ما جعل الله من بحيرة ولاسائبة ولا صلبة ولاحام» أي ما شرعذلك ولا أمر به وإلا فهو مخلوق له واقع بقدره ومشيئته. (شفاء العليل ص ٤٦٧).


باب السلوك

الفرق بين الرفق والكسل والمداراة والمداهنة

وفي الصحيح (أن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف). وفيه أيضا (من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير) فالرفق شيء والتواني والكسل شيء فإن المتواني يتثاقل عن مصلحته بعد امكانها فيتقاعد عنها، والرفيق يتلطف في تحصيلها بحسب الامكان مع المطاوعة وكذلك المداراة صفة مدح والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما أن المدارى يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده عن الباطل، والمداهن يتلطف به ليقره على باطله ويتركه على هواه، فالمداراة لأهل الإيمان والمداهنة لأهل النفاق، ولقد ضرب لذلك مثل مطابق وهو حال رجل به قرحة قد آلمته فجاءه الطبيب المداوي الرفيق فتعرف حالها ثم أخذ في تليينها حتى إذا نضجت أخذ في بطها [1] برفق وسهولة، حتى إذا أخرج ما فيها وضع على مكانها من الدواء والمرهم ما يمنع فساده ويقطع مادته ثم تابع عليها بالمراهم التي تنبة اللحم ثم يذر عليها بعد نبات اللحم ما ينشف رطوبتها ثم يشد عليها الرباط ولم يزل يتابع ذلك حتى صلحت، والمداهن قال لصاحبها : لابأس عليك منها وهذه لا شيء فاسترها عن العيون بخرقة ثم إله عنها فلا تزال مادتها تقوى وتستحكم حتى عظم فسادها. (الروح ص ٣٤٦)

الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق

إن خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة

(١) شقها.

والحياء فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء وشهود نعم الله وجناياته هو فيخشع القلب لا محالة فيتبعة خشوع الجوارح وأما خشوع النفاق فيبدو على الجوارح تصنعا وتكلفا والقلب غير خاشع، وكان بعض الصحابة يقول أعوذ بالله من خشوع النفاق، قيل له وما خشوع النفاق؟ قال أن يُرى الجسد خاشعا والقلب غير خاشع. فالخاشع لله عبدُ قد خمدت نيرات شهوته وسكن دخانها عن صدره فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذي حشى به وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمأن إلى الله وذكره بالسكينة التي نزلت عليه من ربه فصار مخبتا له والمخبت المطمئن فإن الخبت من الأرض من اطمأن فاستنقع فيه الماء، فكذلك القلب المخبت قد اطمأن كالبقعة المطمئنة من الأرض التي يجري اليها الماء فيستقر فيها، وعلامته أن يسجد بين يدي ربه اجلالا له وذلا وانكسارا بين يديه سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه. وأما القلب المتكبر فإنه قد اهتز بتكبره عربا فهو كبقعة رابية من الأرض لا يستقر عليه الماء فهذا خشوع الإيمان.

وأما التماوت وخشوع النفاق فهو حال عن تكلف اسكان الجوارح تصنعا ومراءاة ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وارادات فهو يتخشع في الظاهر وحية الوادي وأسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة (الروح ص ٣٤٨).

الفرق بين شرف النفس والتيه

وأما شرف النفس فهو صيانتها عن الدنايا والرذائل والمطامع التي تقطع أعناق الرجال فيربأ بنفسه عن أن يلقيها في ذلك، بخلاف التيه فإنه خلف متولد بين أمرين أعجابه بنفسه وازدراءه بغيره فيتولد من هذين التيه والأول يتولد بين خلقين كريمين اعزاز النفس واكرامها وتعظيم مالكها وسيدها أن يكون عبده دنيٌ

وضيعا خسيسا فيتولد من بين هذين الخلقين شرف النفس وصيانتها، وأصل هذا كله استعداد النفس وتهيؤها وامداد وليها ومولاها لها فإذا فقد الاستعداد والإمداد فقد الخير كله. (الروح ص ٣٤٨)

الفرق بين الحمية والجفاء

فالحمية فطام النفس عن رضاع اللؤم من ثدي هو مصب الخبائث والرذائل والدنايا ولو عزر لبنه وتهالك الناس عليه فإن لهم فطاما تنقطع معه الأكباد حسرات فلابد من الفطام فإن شئت عجل وأنت محمود مشكور. وإن شئت أخر وأنت غير مأجور. بخلاف الجفاء فإنه غلظة في النفس وقساوة في القلب وكثافة في الطبع يتولد عنها خلق يسمى الجفاء. (الروح ص ٣٤٨)

الفرق بين التواضع والمهانة

أن التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عمله وآفاتها، يتولد من بين ذلك كله خلق هو التواضع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذي والرحمة بعباده فلا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له عند أحد حقا بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه.

وأما المهانة : فهي الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السفل في نيل شهواتهم وتواضع المفعول به للفاعل وتواضع طالب كل حظ لمن يرجوا نيل حظه منه فهذا كله ضعة لا تواضع والله سبحانه يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة : وفي الصحيح عنه ﷺ (وأوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد) والتواضع المحمود على نوعين :

النوع الأول : تواضع العبد عند أمر الله امتثالا وعند نهيه اجتنابا فإن النفس لطلب الراحة تتلكأ في أمره فيبدو منها نوع اباء وشراد هربا من العبودية وتثبت عند نهية طلبا للظفر بما منع منه فإذا وضع العبد نفسه لأمر الله ونهيه فقد تواضع للعبودية.

النوع الثاني : تواضعه لعظمة الرب وجلاله وخضوعه لعزته وكبريائه فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الرب تعالى وتفرده بذلك وغضبه الشديد على من نازعه ذلك فتواضعت إليه نفسه وانكسر لعظمة الله قلبه واطمأن لهيبته وأخبت لسلطانه، فهذا غاية التواضع وهو يستلزم الأول من غير عكس والمتواضع حقيقة من رزق الأمرين والله المستعان. (الروح ص ٣٤٩)

الفرق بين القوة في أمر الله والعلو في الأرض وفي الحمية لله والحمية للنفس

وكذلك القوة في أمر الله هي من تعظيمه وتعظيم أوامره وحقوقه حتى يقيمها لله والعلو في الأرض هو من تعظيم نفسه وطلب تفردها بالرياسة ونفاذ الكلمة سواء عز أمر الله أو هان بل إذا عارضه أمر الله وحقوقه ومرضاته في طلب علوه لم لتفت إلى ذلك وأهدره وأماته في تحصيل علوه.

وكذلك الحمية لله والحمية للنفس، فالأولى يثيرها تعظيم الأمر والآمر. والثانية يثيرها تعظيم النفس والغضب لفوات حظوظها فالحمية لله أن يحمي قلبه له من تعظيم حقوقه وهي حال عبد قد أشرق على قلبه نور سلطان الله فامتلأ قلبه بذلك النور فإذا غضب فإنما يغضب من أجل نور ذلك السلطان الذي ألقى على قلبه وكان رسول الله ﷺ إذا غضب احمرت وجنتاه وبدا بين عينيه عرق يدره الغضب ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله.

وروي زيد بن أسلم عن أبيه أن موسى بن عمران ﷺ كان إذا غضب اشتعلت

قلنسوته نارا وهذا بخلاف الحمية للنفس فإنها حرارة تهيج من نفسه لفوات حظها أو طلبه فإن الفتنة في النفس والفتنة هي الحريق والنفس ملتظة بنار الشهوة والغضب فإنما هما حرارتان تظهران على الأركان حرارة من قبل النفس المطمئنة أثارها تعظيم حق الله وحرارة من قبل النفس الأمارة أثارها استشعار فوت الحظ.

(الروح ص ٣٤٩ - ٣٥٠)

الفرق بين الجواد والمسرف

أن الجواد حكيم يضع العطاء مواضعه والمسرف مبذر وقد يصادف عطاؤه موضعه وكثيرا لا يصادفه وايضاح ذلك أن الله سبحانه بحكمته جعل في المال حقوقا وهي نوعان :

حقوق موظفة وحقوق ثابتة (فالحقوق الموظفة) كالزكاة والنفقات الواجبة على من تلزمة نفقته.

والثابتة : كحق الضيف ومكافأة المهدي وما وقي به عرضه ونحو ذلك فالجواد يتوخى بماله أداء هذه الحقوق على وجه الكمال طيبة بذلك نفسه راضية مؤملة للخلف في الدنيا والثواب في العقبى فهو يخرج ذلك بسماحة قلب وسخاوة نفس وانشراح صدر بخلاف المبذر فإنه يبسط يده في ماله بحكم هواه وشهوته جزافا لا على تقدير ولا مراعاة مصلحة وان اتفقت له فالأول بمنزلة من بذر حبة في الأرض تُنبِت وتوخي ببذره مواضع المغل والانبات فهذا لا يعد مبذرا ولا سفيها.

والثاني : بمنزلة من بذر حبة في سباخ وعزاز [١]من الأرض وأن اتفق بذره في محل النبات بذرء بذرا متراكما بعضه على بعض، فذالك المكان البذر فيه ضائع معطل وهذا المكان بذرا متراكما بعضه على بعض، فلذلك يحتاج أن يقلع

(١) الأرض الصلبه.

بعض زرعه ليصلح الباقي ولئلا تضعف الأرض عن تربيته والله سبحانه هو الجواد على الاطلاق بل كل موجود في العالم العلوى والسفلي بالنسبة إلى وجوده أقل من قطرة في بحار الدنيا وهي من جوده ومع هذا فإنما ينزل بقدر ما يشاء وجوده لا يناقض حكمته ويضع عطاءه مواضعه وإن خفى على أكثر الناس أن تلك مواضعه فالله يعلم حيث يضع فضله وأي المحال أولى به. (الروح ص ٣٥٠-٣٥١).

الفرق بين المهابة والكبر :

أن المهابة أثر من امتلأ القلب بعظمةا له ومحبته واجلاله فإذا إمتلأ القلب بذلك حل فيه النور ونزلت عليه السكينه وألبس رداء الهيبة فاكتسى وجهه الحلاوة والمهابة فأخذ بمجامع القلوب محبة ومهابة فحنت اليه الأفئدة وقرت به العيون وأنست به القلوب فكلامه نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وإن سكت علاه الوقار، وإن تكلم أخذ بالقلوب والأسماع.

وأما الكبر : فأثر من آثار العجب والبغي من قلب امتلأ بالجهل والظلم ترحلت منه العبودية، ونزل عليه المقت إلى الناس شزر ومشيه بينهم تبختر ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا الايثار ولا الانصاف ذاهب بنفسه تيها لا يبداء من لقيه بالسلام وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ في الانعام عليه لا ينطلق لهم وجهه ولا يسعهم خلقه ولا يرى لأحد عليه حق ويرى حقوقه على الناس ولا يرى فضلهم عليه ويرى فضله عليهم لايزداد من الله إلا بعدا ومن الناس إلا صغارا أو بغضاً. (الروح ص ٢٥١).

الفرق بين الصيانه والتكبر

أن الصائن لنفسه بمنزلة رجل قد لبس ثوباً جديداً نقي البياض ذا ثمن فهو يدخل

به على الملوك فمن دونهم فهو يصونه عن الوسخ والغبار والطبوع وأنواع الأثار ابقاء على بياضه ونقائه فتراه صاحب تغرر وهروب من المواضع التي يخش منها عليه التلوث فلا يسمح بأثر ولا طبع ولا لوث يعلو ثوبه وإن أصابه شيء من ذلك على غرة بادر إلى قلعه وازالته ومحو أثره.

وهكذا الصائن لقلبه ودينه يجتنب طبوع الذنوب وآثارها فإن لها في القلب طبوعًا وآثارا أعظم من الطبوع الفاحشة في الثوب النقي البياض ولكن على العيون غشاوة أن تدرك تلك الطبوع، فتراه يهرب من مظان التلوث ويحترس من الخلق ويتباعد من مخالطتهم مخافة أن يحصل لقلبه ما يحصل للثوب الذي يخالط الدباغين والذباحين والطباخين ونحوهم.

بخلاف صاحب العلو وإن شابه هذا في تحرزه وتجنبه فهو يقصد أن يعلو رقابهم ويجعلهم تحت قدمه، فهذا لون وذاك لون. (الروح ص ٣٥٢).

الفرق بين الشجاعة والجرأة

أن الشجاعة من القلب هي ثباتة واستقراره عند المخاوف وهو خلق يتولد من الصبر وحسن الظن فإنه متى ظن الظفر وساعده الصبر، ثبت كما أن الجبن يتولد من سوء الظن ووسوسة النفس بالسوء وهو ينشاء عن الرئه فإذا ساء الطن ووسوست النفس بالسوء انتفخت الرئة فزاحمت القلب في مكانه وضيقت عليه حتى أزعجته في مستقرة فأصابه الزلازل والاضطراب لازعاج الرئه له وتضيقها عليه ولهذا جاء في حديث عمرو بن العاص الذي رواه أحمد وغيره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (شر ما في المرء جبن خالع وشح هالع) فسمى الجبن خالعا لأنه يخلع القلب عن مكانه لانتفاخ السحر وهو الرئة كما قال أبو جهل لعتبة بن ربيعة يوم بدر انتفخ سحرك، فإذا زال القلب عن مكانه ضاع تدبير العقل فظهر الفساد على الجوارح فوضعت الأمور على غير مواضعها فالشجاعة

حرارة القلب وغضبه وقيامه وانتصابه وثباته فإذا رأته الأعضاء كذلك أعانته فإنها خدم له وجنود كما أنه إذا ولى ولت سائر جنوده. وأما الجرأة فهي اقدام سببة قلة المبالاة وعدم النظر في العاقبة بل تقدم النفس في غير موضع الاقدام يعرضه عن ملاحظة العارض فإما عليها وإما لها. (الروح ص ٣٥٣).

الفرق بين الحزم والجبن

الحازم هو الذي قد جمع عليه همه واراداته وعقله ووزن الأمور بعضها ببعض فأعد لكل منها قرنه، ولفظة الحزم تدل على القوة والإجماع ومنه حزمه الحطب فحازم الرأي هو الذي اجتمعت له شؤون رأيه وعرف منها خير الخيرين وشر الشرين فأحجم في موضع الاحجام رأيا وعقلاً لا جبنا ولا ضعفاً.

العاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

(الروح ٣٥٣)

الفرق بين الاقتصاد والشح

أن الاقتصاد خلق محمود يتولد من خلقين عدل وحكمة فبالعدل في المنع والبذل وبالحكمة يضع كل واحد منهما موضعه الذي يليق به فيتولد من بينهما الاقتصاد وهو وسط بين طرفين مذمومين كما قال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلي عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) وقال تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يسرقوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقال تعالي (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا).

وأما الشح : فهو خلق ذميم يتولد من سوء الظن وضعف النفس ويمده وعد الشيطان حتى يصير هلعا والهلع شدة الحرص على الشيء والشره به فيتولد عنه المنع لبذله والجزع لفقده كما قال تعالى (إن الإنسان خلق هلوعا. إذا مسه الشر

جزوعا. وإذا مسه الخير منوعا). (الروح ٣٥٣).

الفرق بين الاحتراز وسوء الظن

أن المحترز بمنزلة رجل قد خرج بماله ومركوبه مسافرا فهو يحترز بجهده من كل قاطع للطريق وكل مكان يتوقع منه الشر وكذلك يكون مع التأهب والاستعداد وأخذ الأسباب التي بها ينجو من المكروه، فالمحترز كالمتسلح المتدرع الذي قد تأهب للقاء عدوه، وأعد له عدته فهمه في تهيئة أسباب النجاة، ومحاربة، عدوه قد أشغلته عن سوء الظن به وكلما ساء به الظن أخذ في أنواع العدة والتأهب.

وأما سوء الظن: فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس حتى يطفح علي لسانه وجوارحه، فهم معه أبدا في الهمز واللمز والطعن والعيب والبغض يبغضهم ويبغضونه، ويلعنهم ويلعنونه، ويحذرهم ويحذرون منه، فلأول يخالطهم ويحترز منهم، والثاني يتجنبهم ويلحقه أذاهم، الأول داخل فيهم بالنصيحة والإحسان مع الإحتراز، والثاني خارج منهم مع الغش والدغل والبغض. (الروح ٣٥٤).

الفرق بين الفراسة والظن

إن الظن يخطيء ويصيب وهو يكون مع ظلمة القلب ونوره وطهارته ونجاسته ولهذا أمر الله تعالى باجتناب كثير منه وأخبر أن بعضه اثم.

وأما الفراسة: فأثنى على أهلها ومدحهم في قوله تعالى (ان في ذلك لآيات للمتوسمين) قال ابن عباس رضي الله عنه وغيره أي للمتفرسين وقال تعالى (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم) وقال تعالي (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول) فالفراسة الصادقة لقلب قد تطهر وتصفى وتنزه عن الأدناس وقرب من الله فهو ينظر بنور الله الذي جعله

في قلبه. وفي الترمذي وغيره من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله).

وهذه الفراسة نشأت له من قربة من الله فإن القلب إذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وادراكه وكان تلقيه من مشكاة قريبة من الله بحسب قربه منه وأضاء له النور بقدر قربه فرأى في ذلك النور مالم يره البعيد والمحجوب.

كما ثبت في الصحيح من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: ما تقرب إليّ عبدي بمثل ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، فأخبر سبحانه أن تقرب عبده منه يفيده محبته له فإذا أحبه قرب من سمعه وبصره ويده ورجله فسمع به وأبصر به وبطش به ومشى به فصار قلبه كالمرأة الصافية تبدو فيها صور الحقائق على ماهي عليه فلا تكاد تخطئ له فراسة فإن العبد إذا أبصر بالله أبصر الأمر على ما هو عليه فإ ذا سمع بالله سمعه على ما هو عليه، وليس هذا من علم الغيب بل علام الغيوب قذف الحق في قلب قريب مستبشر بنوره غير مشغول بنقوش الأباطيل والخيالات والوساوس التي تمنعه من حصول صور الحقائق فيه وإذا غلب على القلب النور فاض على الأركان وبادر من القلب إلى العين فكشف بعين بصره بحسب ذلك النور وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى أصحابه في الصلاة وهم خلفه كما يراهم وهم أمامه، ورأى بيت المقدس عيانا وهو بمكة، ورأى قصور الشام، وأبواب صنعاء، ومدائن كسرى وهو بالمدينة يحفر الخندق، ورأى أمراءه بمؤته وقد أصيبوا وهو بالمدينة، ورأى النجاشي بالحبشة لما مات

وهو بالمدينة فخرج إلى المصلى فصلى عليه، ورأى عمر سارية بنهاوند من أرض فارس هو وعساكر المسلمين وهم يقاتلون عدوهم فناداه ياسارية الجبل، ودخل عليه نفر من مذحج فيهم الأشتر النخعي فصعد فيه البصر وصوبه وقال أيهم هذا؟ قال مالك بن الحارث فقال ماله قاتله الله (إني لأرى للمسلمين منه يوما عصيبا) ودخل عمرو بن عبيد على الحسن فقال هذا سيد الفتيان إن لم يحدث. وقيل إن الشافعي ومحمد بن الحسن جلسا في المسجد الحرام فدخل رجل فقال محمد أتفرس أنه نجار، فقال الشافعي أتفرس أنه حداد، فسألاه فقال كنت حدادًا وأنا اليوم انجر، ودخل أبو الحسن البوسنجي والحسن الحداد على أبي القاسم المناوي يعودانه فاشتريا في طريقهما بنصف درهم تفاحًا نسيئة فلما دخلا عليه قال ما هذه الظلمة؟ فخرجا وقالا ما علمنا لعل هذا من قبل ثمن التفاح فأعطيا الثمن ثم عادا إليه وقع بصره عليهما فقال يمكن الإنسان أن يخرج من الظمة بهذه السرعة؟ أخبراني عن شأنكما فأخبراه بالقصة فقال نعم كان كل واحد منكما يعتمد على صاحبه في إعطاء الثمن والرجل مستح منكما في التقاضي، وكان بين أبي زكريا النخشي وبين امرأة سبب قبل توبته فكان يومًا واقفًا على رأس« أبي عثمان الحيري فتفكر في شأنها فرفع أبو عثمان إليه رأسه وقال ألا يستحي، وكان شاه الكرماني جيد الفراسة لا تخطئ فراسته وكان يقول من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود أكل الحلال لم تخطئ فراسته، وكان شاب يصحب الجنيد يتكلم على الخواطر فذكر للجنيد فقال إيش هذا الذي ذكر لي عنك؟ فقال له أعتقد شيئًا، فقال له الجنيد اعتقدت فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا، فقال فاعتقد ثانيًا قال اعتقدت فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا فقالا الجنيد لا، قال فاعتقد ثالثًا قال اعتقدت قال الشاب هو كذا وكذا قال لا، فقال الشاب هذا عجب أنت صدوق وأنا أعرف قلبي، فقال الجنيد

صدقت في الأولى والثانية والثالثة لكن أردت أن أمتحنك هل يتغير قلبك[1]؟

وقال أبو سعيد الخراز دخلت المسجد الحرام فدخل فقير عليه خرقتان يسأل شيئًا فقلت في نفسي مثل هذا كلٌ على الناس ، فنظر إلي وقال : (اعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذره) قال فاستغفرت في سري فناداني وقال: (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) [2]وقال إبراهيم الخواص كنت في الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه حسن الحرمة فقلت لأصحابنا يقع لي أنه يهودي! فكلهم كره ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم فقال إيش قال الشيخ في ؟ فاحتشموه فألح عليهم فقالوا قال إنك يهودي فجاء فأكب على يدي فأسلم فقلت ما السبب؟ فقال نجد في كتابنا أن الصديق لا تخطئ فراسته فقلت أمتحن المسلمين فتأملتهم .

فقلت : إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة فلبّست عليكم ، فلما اطلع هذا الشيخ علي وتفرسني علمت أنه صديق .

وهذا عثمان بن عفان دخل عليه رجل من الصحابة ، وقد رأى امرأة في الطريق فتأمل محاسنها ، فقال له عثمان : يدخل أحدكم وأثر الزنا ظاهر علي عينيه فقلت : أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة.

فهذا شأن الفراسة وهي نور يقذفه الله في القلب فيخطر له الشيء فيكون كما خطر له وينفذ إلى العين فيرى مالا يراه غيره .

الفرق بين الهدية والرشوة

والفرق بين الهدية والرشوة وان اشتبها في الصورة اختلفا في القصد ، فإن

---

(١) هذه القصص ينبغي عدم الإلتفات إليها لأنها تناقض قوله تعالى «يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور» .

(٢) ممكن تخريجها على أن الشيخ نظر إلى الفقير نظرة إحتقار ثم عندما تلا الفقير الآية تغيرت نظرة الشيخ إلى نظرة ندم .

الراشي قصده بالرشوة التوصل إلى ابطال حق أو تحقيق باطل فهذا الراشي الملعون على لسان رسول الله صلى الله وآله وسلم فإن رشا لدفع الظلم عن نفسه اختص المرتشي وحده باللعنه.

وأما المهدي فقصده استجلاب الموده والمعرفة والاحسان فإن قصد المكافأة فهو معاوض وأن قصد الربح فهو مستكثر. (الروح ٣٥٨)

الفرق بين الصبر والقسوة

والفرق بين الصبرو القسوة : أن الصبر خلق كسبي يتخلق به العبد وهو حبس النفس عن الجزع والهلع والتشكي، فيحبس النفس عن التسخط واللسان عن الشكوى والجوارح عما لا ينبغي فعله وهو ثبات القلب على الاحكام القدرية والشرعيه. وأما القسوة فيبس في القلب يمنعه من الانفعال وغلظه تمنعه من التأثر بالنوازل فلا يتأثر لغلظته وقساوته لا لصبره واحتماله وتحقيق هذا ان القلوب ثلاثة : قلب قاس : غليظ بمنزلة اليد اليابسة. وقلب مائع : رقيق جدا فالأول لا ينفعل بمنزلة الحجر. والثاني بمنزلة الماء وكلاهما ناقص وأصح القلوب (القلب الرقيق) الصافي الصلب فهو يرى الحق من الباطل بصفائه ويقبله ويؤثره برقته ويحفظه، ويحارب عدوه بصلابته (وفي الأثر القلوب آنية الله في أرضه فأحبها اليه ارقها وأصلبها واصفها) وهذا القلب الزجاجي فإن الزجاجة جمعت الأوصاف الثلاثة، وابغض القلوب إلى الله القلب القاسي قال تعالي : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أواشد قسوة) وقال تعالى (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنه للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) فذكر القلبين المنحرفين عن الاعتدال هذا بمرضه وهذا بقسوته وجعل القاء الشيطان فتنه لاصحاب هذين القلبين ورحمه لاصحاب القلب الثالث، وهو القلب الصافي الذي ميز بين القاء الشيطان والقاء الملك بصفائه وقبل الحق بإخباته ورقته وحارب النفوس المبطله بصلابته وقوته

فقال تعالى عقيب ذلك (وليعلم الذين اتوا العلم انه الحق من ربك فيومنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين أمنوا إلى صراط مستقيم). (الروح ٣٥٨ - ٣٥٩).

الفرق بين العفو والذل

والفرق بين العفو والذل : أن العفو اسقاط حقك جودا وكرما واحسانا مع قدرتك على الانتقام فتؤثر الترك رغبه في الاحسان ومكارم الاخلاق بخلاف الذل فإن صاحبه يترك الانتقام عجزا وخوفا ومهانه نفس. فهذا مذموم غير محمود ولعل المتقم بالحق أحسن حالا منه قال تعالى (والذين إذا اصابهم البغي هم ينتصرون) فمدحهم بقوتهم على الانتصار لنفوسهم وتقاضيهم منها حتى إذا قدروا على من بغى عليهم وتمكنوا من استيفاء ما لهم ندبهم إلى الخلق الشريف من العفو والصفح فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فأجره على الله أنه لا يحب الظالمين) فذكر المقامات الثلاثة العدل وأباحه والفضل وندب اليه، والظلم وحرمه. (الروح ٣٥٩ ، ٣٦٠).

الفرق بين سلامة القلب والبله والغفله

والفرق بين سلامة القلب والبله والغفله ان سلامة القلب تكون من عدم ارادة الشر بعد معرفته فيسلم قلبه من ارادته وقصده لا من معرفته به وهذا بخلاف البله والغفلة فإنها جهل وقلة معرفة.

وهذا لا يحمد اذ هو نقص وإنما يحمد الناس من هو كذلك لسلامتهم منه والكمال ان يكون القلب عارفا بتفاصيل الشر سليما من ارادته قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لست بخب ولا يخدعني الخب وكان عمر أعقل من أن يخدع، وأورع من أن يخدع وقال تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) فهذا هو السليم من الآفات التي تعتري القلوب المريضة من مرض الشبه التي توجب اتباع الظن ومرض الشهوة التي توجب اتباع ما تهوى الانفس فالقلب السليم الذي سلم من هذا ومن هذا. (الروح ٣٦٢، ٣٦٣).

الفرق بين الثقة والغرة

والفرق بين الثقة والغرة : ان الثقة سكون يستند إلى ادله وامارات سكن القلب اليها فكلما قويت تلك الأمارات قويت واستحكمت ولاسيما على كثرة التجارب وصدق الفراسه واللفظة كأنها والله اعلم من الوثاق وهو الرباط فالقلب قد ارتبط بمن وثق به توكلا عليه وحسن ظن به فصار في وثاق محبته ومعاملته والاستناد اليه والاعتماد عليه فهو في وثاق العبودية فلم يبق له مفزع في النوائب ولا ملجاء غيره ويصير عدته وشدته وذخيرته في نوائبه وملجاه في نوازله ومستعانة في حوائجة وضروراته.

وأما الغرة : فهي حال المغتر الذي غرته نفسه وشيطانه وهواه وأمله الخائب الكاذب بربه حتى اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني والغرور ثقتك بمن لا يوثق به وسكونك إلي من لا يسكن اليه ورجاؤك النفع من المحل الذي لايأتي بخير كحال المعتر بالسراب قال تعالى : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) وقال تعالى في وصف المغترين : (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وهؤلاء إذا انكشف الغطاء وثبتت حقائق الأمور علموا أنهم لم يكونوا على شئ (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وفي أثر معروف إذا رأيت الله سبحانه يزيدك من نعمه وأنت مقيم على معصيته فاحذره فإنما هو استدراج يستدرجك به وشاهد هذا في القرآن في قوله تعالى : (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى إذا فرحوا بما أتوا اخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) وهذا من اعظم الغره ان تراه يتابع عليك نعمه وانت مقيم على ما يكره فالشيطان موكل بالغرور، وطبع النفس الامارة الاغترار فاذا اجتمع الرأى والبغى والشيطان الغرور والنفس المغترة لم

يقع هناك خلاف، فالشياطين غروا المغترين بالله واطمعوهم مع اقامتهم على ما يسخط الله ويغضبه في عفوة وتجاوزه وحدثوهم بالتوبة لتسكن قلوبهم ثم دافعوهم بالتسويف حتى هجم الأجل فاخذوا على اسوا احوالهم قال تعالى: (وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور) وقال تعالى (يأأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم الله الغرور) واعظم الناس غرورا بربه من اذا مسه الله برحمة منه وفضل (قال هذي لي) اي انا اهله وجدير به ومستحق له ثم قال: (وما اظن الساعة قائمة) فظن أنه لما اولاه من النعم مع كفره بالله ثم زاد في غروره فقال: (ولئن رجعت إلى ربي ان لي عنده للحسنى) يعني الجنة والكرامة فكذا تكون الغرة بالله فالمغتر بالشيطان مغتر بوعوده وامانيه وقد ساعده اعترار بدنياه ونفسه فلا يزال كذلك حتى يتردى في ابار الهلاك.

(الروح ٣٦٣ - ٣٦٤)

الفرق بين الرجاء والتمني

والفرق بين الرجاء والتمني: ان الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراع الطاقة في الإتيان باسباب الظفر والفوز. والمتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الاسباب الموصه اليه قال تعالي: (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله) فطوى سبحانه بساقي الرجاء إلا عن هؤلاء. وقال المغترون: ان الذين ضيعوا أوامره وارتكبوا نواهيه واتبعوا ما اسخطه وتجنبوا ما يرضية أولئك يرجون رحمته، وليس هذا ببدع من غرور النفس والشيطان لهم فالرجاء لعبد قد امتلأ قلبه من الإيمان بالله واليوم الأخر فمثل بين عينيه ما وعد الله تعالى من كرامته وجنته امتد القلب مائلاً إلى ذلك شوقا اليه وحرصا عليه فهو شبيه بالماد عنقه إلي مطلوب قد صار نصب عينية. وعلامة الرجاء الصحيح ان الراجي يخاف فوت الجنة وذهاب حظه منها بترك ما يخاف

ان يحول بينه وبين دخولها فمثله مثل رجل خطب امراءة كريمه في منصب وشرف إلى اهلها فلما آن وقت العقد واجتماع الاشراف والاكابر واتيان الرجل إلى الحضور أعلم عشيه ذلك اليوم ليتأهب للحضور فتراه المرأة واكابر الناس فاخذ في التأهب والتزين والتجميل فأخذ من فضول شعره وتنظيف وتطيب ولبس أجمل ثيابه وأتى تلك الدار متقيا في طريقة كل وسخ وأثر يصيبيه أشد تقوى حتى الغبار والدخان وما هو دون ذلك، فلما وصل إلي الباب رحب به ربها ومكن له في صدر الدار على الفرس والوسائد ورمقته العيون وقصد بالكرامة من كل ناحية فلو أنه ذهب بعد أن اخد هذه الزينه فجلس في المزابل وتمرغ عليهاوتمعك بها وتلطخ في بدنه وثيابه عليها من عذرة ودخل ذلك في شعره وبشره وثيابه فجاء على ذلك الحال إلى تلك الدار وقصد دخولها للوعد الذي سبق له لقام اليه البواب بالضرب والطرد والصياح عليه والابعاد له من بابها وطريقها فرجع متحيرا خاسئا فالاول حال الراجي وهذا حال المتمني. (الروح ٣٦٤ - ٣٦٥).

الفرق بين التحدث بنعم الله والفخر بها

والفرق بين التحدث بنعم الله والفخر بها : أن المتحدث بالنعمه مخبر عن صفات وليها ومحض جوده واحسانه فهو مثن عليه باظهارها والتحدث بها شاكر له ناشراً لجميع ما أولاه مقصوده بذلك اظهار صفات الله ومدحه والثناء عليه وبعث النفس على الطلب منه دون غيره وعلى صحبته ورجائه فيكون راغبا إلى الله باظهار نعمه ونشرها والتحدث بها. واما الفخر بالنعم : فهو ان يستطيل بها على الناس ويريهم أنه أعز منهم وأكبر فيركب اعنقاهم ويستعبد قلوبهم ويستميلها اليه بالتعظيم والخدمه قال النعمان بن بشير : أن للشيطان مصالي(١) وفخوخا، وأن مصاليه وفخوخه البطش بنعم الله والكبر على عباد الله ويفخر بعطيه الله والهون في غير ذات الله. (الروح ٣٦٨).

(١) جمع مصلاة وهو الشَرَك. اهـ هامش الروح.

الفرق بين فرح القلب وفرح النفس

والفرق بين فرح القلب وفرح النفس ظاهر : فإن الفرح بالله ومعرفته ومحبته وكلامه من القلب قال تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك) فإذا كان أهل الكتاب يفرحون بالوحي فأولياء الله واتباع رسوله أحق بالفرح به وقال تعالى : (وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فأما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون) وقال تعالي (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قال ابو سعيد الخدري فضل الله القرآن ، ورحمته أن جعلكم من أهله. وقال هلال بن يساف فضل الله ورحمته الاسلام الذي هداكم اليه والقرآن الذي علمكم هو خير من الذهب والفضه الذي تجمعون. قال إبن عباس والحسن وقتادة وجمهور المفسرين فضل الله الاسلام ورحمته القرآن ، فهذا فرح القلب وهو من الإيمان ويثاب عليه العبد فإن فرحه به يطال على رضاه بل هو فوق الرضا فالفرح بذلك على قدر محبته فإن الفرح انما يكون بالظفر بالمحبوب وعلى قدر محبته ويفرح بحصوله له فالفرح بالله واسمائه وصفاته ورسوله وسنته وكلامه محض الإيمان وصفة وليه وله عبودية وأثر في القلب لا يعبر عنه فابتهاج القلب وسروره وفرحه بالله واسمائه وصفاته وكلامه ورسوله ولقائه افضل ما يعطاه بل هو جل عطاياه ، والفرح في الآخره بالله ولقائه بحسب الفرح به ومحبته في الدنيا ، فالفرح بالوصول إلي المحبوب يكون على حسب قوة المحبه وضعفها. فهذا شأن فرح القلب ، وله فرح آخر وهو فرحه بما من الله به عليه من معاملته والإخلاص له والتوكل عليه والثقة به وخوفه ورجائه به وكلما تمكن في ذلك قوي فرحه وابتهاجه ، وله فرحة أخرى عظيمة الوقع عجيبة الشأن وهي الفرحة التي تحصل له بالتوبة فإن لها فرحة عجيبة لا نسبة لفرحة المعصية اليها ، فلو علم العاصي ان لذة التوبة وفرحتها تزيد على لذة المعصية وفرحتها

اضعافا مضاعفة لبادر اليها أعظم من مبادرته إلى لذة المعصية. وسر هذا الفرح إنما يعلمه من علم فرح الرب تعالى بتوبة عبده أشد فرح يقدر، ولقد ضرب رسول الله ﷺ مثلا ليس في انواع الفرح في الدنيا اعظم منه وهو فرح رجل قد خرج براحلته التي عليها طعامه وشرابه في سفر ففقدها في أرض دوية مهلكة فاجتهد في طلبها فلم يجدها فيئس منها فجلس ينتظر الموت حتى إذا طلع البدر رأى في ضوئه راحلته وقد تعلق زمامها بشجرة فقال من شدة فرحة اللهم انت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح فالله أفرح بتوبة عبده من هذا براحلته. فلا ينكر ان يحصل التائب نصيب وافر من الفرح بالتوبة ولكن ها هنا امر يجب التنبه عليه وهو أنه لا يصل إلى ذلك إلا بعد ترحات ومضض ومحن لاتثبت لها الجبال فإن صبر ظفر بلذة الفرح وإن ضعف عن حملها ولم يصبر لها لم يظفر بشيء وآخر أمره فوات ما آثره من فرحة المعصية ولذاتها فيفوته الأمران ويحصل على ضد اللذة من الألم المركب من وجود المؤذي وفوت المحبوب فالحكم لله العلي الكبير.

وهاهنا فرحة أعظم من هذا كله وهي فرحته عند مفارقته الدنيا إلى الله إذا أرسل اليه فبشروه بلقائه، وقال له ملك الموت: أخرجي أيتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب، أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان أخرجي راضية مرضيا عنك (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) فلو لم يكن بين يدي التائب إلا هذه الفرحة وحدها لكان العقل يأمر بايثارها فكيف ومن بعدها أنواع الفرح منها صلاة الملائكة الذين بين السماء والأرض على روحه.

ومنها: فتح أبواب السماء لها وصلاة ملائكة السماء عليها وتشييع مقربيها لها إلى السماء الثانية فتفتح ويصلي عليها أهلها ويشيعها مقربوها هكذا إلى السماء السابعة فكيف يقدر فرحها. وقد استؤذن لها على ربها ووليها وحبيبها فوقفت بين

يديه وأذن لها بالسجود ثم سمعته سبحانه يقول اكتبوا كتابه في عليين ثم يذهب به فيرى الجنة ومقعدة فيها وما أعد الله له ويلقى أصحابه وأهله فيستبشرون به ويفرحون به ويفرح بهم فرح الغائب يقدم على أهله فيجدهم على احسن حال ويقدم عليهم بخير ما قدم به مسافر هذا كله قبل الفرح الأكبر يوم حشر الأجساد بجلوسة في ظل العرض وشربه من الحوض وأخذه كتابه بيمينه وثقل ميزانه وبياض وجهة واعطائه النور التام والناس في الظلمة وقَطْعِهِ جسر جهنم بلا تعويق وانتهائه إلى باب الجنة وقد أزلفت له في الموقف وتلقى خزنتها له بالترحيب والسلام والبشارة وقدومه على منازلة وقصوره وأزواجه وسراريه.

وبعد ذلك فرح آخر لا يقدر قدره. ولا يعبر عنه تلاشى هذه الأفراح كلها عنده وإنما يكون هذا لأهل السنة المصدقين برؤية ربهم تبارك وتعالى من فوقهم وسلامه عليهم وتكليمه اياهم ومحاضرته لهم.

وليست هذه الفرحات إلا — لذي الترحات في دار الرزايا
فشمر ما استطعت الساق واجهد — لعلك أن تفوز بذي العطايا
صم عن لذة حشيت بلاء — للذات خلصن من البلايا
ودع أمنية ان لم تنلها — تعذب أو تنل كانت منايا
ولا تستبط وعدا من رسول — أتى بالحق من رب البرايا
فهذا الوعد أدنى من نعيم — مضي بالأمس لو وفقت رايا

(الروح ص ٣٦٨).

الفرق بين رقة القلب والجزع

أن الجزع ضعف في النفس وخوف في القلب يمده شدة الطمع والحرص

ويتولد من ضعف الايمان بالقدر وإلا فمتى علم أن المقدر كائن ولابد كان الجزع عناء محضا ومصيبة ثانية قال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبراءها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم) فمتى آمن العبد بالقدر وعلم أن المصيبة مقدرة في الحاضر والغائب لم يجزع ولم يفرح. ولا ينافي هذا رقة القلب فإنها ناشئة عن صفة الرحمة التي هي كمال والله سبحانه انما يرحم من عباده الرحماء.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرق الناس قلبا وأبعدهم من الجزع، فرقة القلب رأفة ورحمة وجزعه مرض وضعف، فالجزع حال قلب مريض بالدنيا قد غشيه دخان النفس الأمارة فأخد بأنفاسه وضيق عليه مسالك الآخرة. وصار في سجن الهوى والنفس وهو سجن ضيق الأرجاء مظلم المسالك فلانحصار القلب وضيقة يجزع من أدنى ما يصيبه ولا يحتمله فإذا أشرق فيه نور الإيمان واليقين بالوعد وأمتلأ من محبة الله واجلاله رق وصارت فيه الرأفة والرحمة فتراه رحيما رقيق القلب بكل ذي قربي ومسلم يرحم النملة في حجرها والطير في وكره فضلا عن بني جنسه فهذا أقرب القلوب من الله قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرحم الناس بالعيال، والله سبحانه اذا أراد أن يرحم عبدا أسكن في قلبه الرأفة والرحمة وإذا أراد أن يعذبه نزع من قلبه الرحمة والرأفة وأبدله بهما الغلظة والقسوة.

وفي الحديث الثابت لا تنزع الرحمة إلا من شقي، وفيه من لا يرحم لا يُرحم، وفيه ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، وفيه أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال، والصديق رضى الله عنه إنما فضل الأمه بما كان في قلبه من الرحمة العامة زيادة على الصديقية ولهذا ظهر أثرها في جميع مقاماته حتى في

الأسارى يوم بدر واستقر الأمر على ما أشار به وضرب له ﷺ مثلا بعيسى وإبراهيم، والرب سبحانه وتعالى هو الرؤف الرحيم وأقرب الخلق اليه أعظمهم رأفة ورحمة كما أن أبعدهم منه من اتصف بضد صفاته وهذا باب لا يلجه إلا الأفراد في العالم. (الروح ٣٧١).

الفرق بين الموجدة والحقد

أن الوجد الاحساس بالمؤلم والعلم به وتحرك النفس في رفعة فهو كمال. وأما الحقد فهو اضمار الشر وتوقعه كل وقت فيمن وجدت عليه فلا يزايل القلب أثره.

وفرق آخر هو أن الموجودة لما ينالك منه، والحقد لما يناله منك، فالموجدة وجود ما نالك من أذاه والحقد توقع وجود ما يناله من المقابلة فالموجدة سريعة الزوال والحقد يجئ مع ضيق القلب واستيلاء ظلمة النفس ودخانها عليه، بخلاف الموجدة فإنها تكون مع قوته وصلابته وقوة نوره واحساسه (الروح ص ٣٧٢).

الفرق بين المنافسة والحسد

أن المنافسة المبادرة إلي الكمال الذي تشاهد من غيرك فتنافسة فيه حتى تلحقه أو تجاوزه فهي من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر قال تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) وأصلها من الشيء النفيس الذي تتعلق به النفوس طلبا ورغبة فينافس فيه كل من النفسين الأخرى وربما فرحت إذا شاركتها فيه كما أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتنافسون في الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه بل يحض بعضهم بعضا عليه مع تنافسهم فيه وهي نوع من المسابقة وقد قال تعالى (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) وكان عمر بن الخطاب يسابق ابابكر رضي الله عنهما فلم يظفر بسبقه أبدا فلما علم أنه قد استولى على الأمامة قال والله لا أسابقك إلى شئ أبدا وقال

والله ما سبقته إلى خير إلا وجدته قد سبقني إليه والمتنفسان كعبدين بين يدي سيدهما يتباريان ويتنافسان في مرضاته ويتسابقان إلى محابه، فسيدهما يعجبه ذلك منهما ويحثهما عليه وكل منهما يحب الآخر ويحرضه على مرضاة سيده.

والحسد خلق نفس ذميمة وضيعة ساقطة فليس فيها حرص على الخير فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ويفوز بها دونها ويتمنى أن لوفاته كسبها حتى يساويها في العدم كما قال تعالى (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) وقال تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) فالحسود عدو للنعمة متمن زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو والمنافس سابق النعمة متمن تمامها عليه وعلى من ينافس غيره أن يعلوا عليه ويحب لحاقه به أو مجاورته له في الفضل والحسود يحب انحطاط غيره حتى يساويه في النقصان وأكثر النفوس الفاضلة الخيرة تنتفع بالمنافسة فمن جعل نصب عينيه شخصا من أهل الفضل والسبق فنافسه انتفع به كثيرا فإنه يتشبه به ويطلب اللحاق به والتقدم عليه وهذا لا تذمه، وقد يطلق اسم الحسد على المنافسة المحمودة كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه مالا فسلطه على هلكته في الحق) فهذا حسد منافسة وغبطة يدل على علو همة صاحبه وكبر نفسه وطلبها للتشبيه بأهل الفضل. (الروح ٣٧٣).

الفرق بين الاحتياط والوسوسة

والفرق بين الاحتياط والوسوسة : أن الاحتياط الاستقصاء والمبالغة في اتباع السنه وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من غير غلو ومجاوزه ولا تقصير ولا تفريط فهذا هو الاحتياط الذي يرضاه الله ورسوله واما الوسوسة فهي ابتداع ما لم تأت به السنه ولم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم ولا أحد من الصحابه زاعما أنه يصل بذلك إلى تحصيل المشروع وضبطه كمن يحتاط بزعمه ويغسل اعضاءه في الوضوء فوق الثلاثة فيسرف في صب الماء في وضوئه وغسله ويصرح بالتلفظ بنيه الصلاه مرارا أو مرة واحدة ويغسل ثيابه ممالا يتيقن نجاسته احتياطا ويرغب عن الصلاة في نعله احتياطا إلى اضعاف هذا مما اتخذه الموسوسون دينا وزعموا أنه احتياط وقد كان الاحتياط باتباع هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كان عليه أولى بهم فإنه الاحتياط الذي من خرج عنه فقد فارق الاحتياط وعدل عن سواء الصراط والاحتياط كل الاحتياط للخروج عن خلاف السنه ولو خالفت أكثر أهل الأرض بل كلهم. (الروح ٣٧٩ - ٣٨٠)

الفرق بين الاقتصاد والتفريط:

والفرق بين الاقتصاد والتقصير: ان الاقتصاد هو التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وله طرفان هما ضدان له تقصير ومجاوزه فالمقتصد قد اخذ بالوسط وعدل عن الطرفين قال الله تعالى: (والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقال تعالى (ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) وقال تعالى :(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) والدين كله بين هذين الطرفين بل الإسلام قصد بين الملل والسنة قصد بين البدع ودين الله بين الغالي والجافي عنه وكذلك الاجتهاد هو بذل الجهد في موافقة الأمر والغلو مجاوزته وتعديه، وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان فإما إلى غلو ومجاوزة وإما إلى تفريط وتقصير هما آفتنان لايخلص منهما في الإعتقاد والقصد والعمل الأمن مشى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وترك أقوال الناس وآراءهم لما جاء به لا من ترك ما جاء به لاقوالهم وآرائهم وهذان المرضان الخطران قد استوليا على أكثر بني ادم ولهذا حذر السلف منهما اشد التحذير وخوفوا من بلي باحدهما بالهلاك

وقد يجتمعان في الشخص الواحد كما هو حال اكثر الخلق يكون مقصرا مفرطا في بعض دينه غاليا متجاوزا في بعضه والمهدي من هدى الله. (الروح ٣٨١-٣٨٢).

الفرق بين حب الرياسة وحب الإمارة للدعوة إلي الله

والفرق بين حب الرياسة وحب الإمارة إلى الله هو الفرق بين تعظيم أمر الله والنصح له وتعظيم النفس والسعي في حظها فإن الناصح لله المعظم له والمحب له يحب ان يطاع ربه فلا يعصي وأن تكون كلمته هي العليا وأن يكون الدين كله لله وأن يكون العباد ممتثلين لأوامره مجتنبين نواهيه فقد ناصح الله في عبوديته وناصح خلقه في الدعوة إلي الله فهو الإمامة في الدين بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين اماما يقتدي به المتقون كما اقتدى هو بالمتقين فإذا أحب هذا العبد الداعي إلى الله أن يكون في اعينهم جليلا وفي قلوبهم مهيبا واليهم حبيبا وأن يكون فيهم مطاعا لكي يأتموا به ويقتفوا اثر الرسول على يده لم يضره ذلك بل يحمد عليه لأنه داع إلى الله يحب أن يطاع ويعبد ويوحد فهو يحب ما يكون عونا على ذلك موصلاً إليه ولهذا ذكر سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه وأثنى عليهم في تنزيله واحسن جزاءهم يوم لقائه فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم ثم قال : (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذريتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما) فسألوه أن يقر اعينهم بطاعة ازواجهم وذرياتهم له سبحانه وأن يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته وعبوديته فإن الامام والمؤتم متعاونان على الطاعة فإنما سألوه ما يعانون به المتقين على مرضاته وطاعته وهو دعوتهم إلي الله بالإمامة في الدين التي أساسها الصبر واليقين كما قال الله تعالى : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون) وسؤالهم أن يجعلهم أئمة للمتقين هو سؤال أن يهديهم ويوفقهم ويمن عليهم بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة ظاهرا وباطنا التي لا تتم الامامة إلا بها وتأمل كيف نسبهم في هذه الآيات إلى اسمه الرحمن جل

جلاله ليعلم خلقه أن هذا انما نالوه بفضل رحمته ومحض جوده ومنته وتأمل كيف جعل جزاءهم في هذه السوره [1] الغرف وهي المنازل العاليه في الجنه لما كانت الامامة في الدين من الرتب العاليه بل من أعلى مرتبة يعطاها العبد في الدين كان جزاؤه عليها الغرفة العاليه في الجنه.

وهذا بخلاف طلب الرياسة فإن طلابها يسعون في تحصيلها لينالوا بها اغراضهم من العلو في الأرض وتعبد القلوب لهم وميلها اليهم ومساعدتهم لهم علي جميع اغراضهم مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم فترتب على هذا المطلب من المفاسد ما لايعلمه إلا الله من البغي والحسد والطغيان والحقد والظلم والفتنة والحمية للنفس دون حق الله وعظيم من حقره الله واحتقار من اكرمه الله ولا تتم الرياسة الدنيوية إلا بذلك ولا تنال إلا به وبأضعافة من المفاسد والرؤساء في عمى عن هذا فإذا كشف الغطاء تبين لهم فساد ماكانوا عليه ولا سيما إذا حشروا في صور الذر يطؤهم أهل الموقف بأرجلهم اهانة لهم وتصغيرا كما صغروا أمر الله وحقروا عباده. (الروح ٣٧٤).

الفرق بين النصيحة والتأنيب:

أن النصيحة احسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه فهو احسان محض يصدر عن رحمة ورقة ومراد الناصح بها وجه الله ورضاه والاحسان إلى خلقه فيتطلب في بذلها غاية التلطف ويتحمل أذى المنصوح ولأئمته ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق للمريض المشبع مرضا وهو يتحمل سوء خلقه وشراسته ونفرته ويتلطف في وصول الدواء اليه بكل ممكن فهذا شأن الناصح.

وأما المؤنب فهو رجل قصده التعيير والإهانة وذم من أنبه وشتمه في صورة

(١) سورة الفرقان آية ٧٢. ٧٣.

النصح فهو يقول له يافاعل كذا وكذا يامستحقا للذم والإهانة في صورة ناصح مشفق، وعلامة هذا أنه لو رأى من يحبه ويحسن اليه على مثل عملي هذا أو شر منه لم يعرض له ولم يقل له شيئا ويطلب له وجوه المعاذير فإن غلب قال وإني ضمنت له العصمة والإنسان عرضة للخطأ ومحاسنه أكثر من مساوئه والله غفور رحيم ونحو ذلك فيا عجبا كيف كان هذا لمن يحبه دون من يبغضه وكيف كان خط ذلك منك التأنيب في صورة النصح وحظ هذا رجاء العفو والمغفرة وطلب وجوه المعاذير.

ومن الفروق بين الناصح والمؤنب أن الناصح لا يعاديك إذا لم تقبل نصيحته وقال قد وقع أجري على الله قبلت أو لم تقبل ويدعو لك بظهر الغيب ولا يذكر عيوبك ولا يبينها للناس والمؤنب بضد ذلك. (الروح ٣٨٢).

الفرق بين المبادرة والعجلة

إن المبادرة انتهاز الفرصة في وقتها ولا يتركها حتى إذا فاتت طلبها لا يطلب الأمور في أدبارها ولا قبل وقتها بل إذا حضر وقتها بادر اليها ووثب عليها وثوب الأسد على فريسته فهو بمنزلة من يبادر إلي أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وادراكها، والعجلة طلب أخذ الشيء قبل وقته فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل أوان ادراكها. فالمبادرة وسط بين خلقين مذمومين أحدهما التفريط والآضاعة والثاني الاستعجال قبل الوقت، ولهذا كانت العجلة من الشيطان فإنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم وتوجب له وضع الأشياء في غير موضعها وتجلب عليه أنواعا من الشرور وتمنعه أنواعها من الخير وهي قرين الندامة فقل من استعجل إلا ندم كما أن الكسل قرين الفوت والإضاعة. (الروح ٣٨٢).

الفرق بين الأخبار بالحال وبين الشكوى

الفرق بين الأخبار بالحال وبين الشكوى وأن اشتبهت صورتهما : أن الاخبار بالحال يقصد المخبر به قصدا صحيحا من علم سبب إدانته أو الاعتذار لأخيه من أمر طلبه منه أو يحذره من الوقوع في مثل ما وقع فيه فيكون ناصحا باخباره له أو حمله على الصبر بالتأسي كما يذكر عن الأحنف أنه شكا اليه رجل شكوى فقال : يابن أخي لقد ذهب ضوء عيني كذا وكذا سنه فما أعلمت به أحدا ففي ضمن هذا الأخبار من حمل الشاكي على التأسي والصبر ما يثاب عليه المخبر وصورته الشكوى ولكن القصد ميز بينهما، ولعل هذا قول النبي ﷺ ، لما قالت عائشة : وارأساه، فقال بل أنا وارأساه أي الوجع القوي بي أنا دونك فتأسى بي فلا تشتكي، ويلوح لي فيه معنى آخر وهو أنها كانت حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل كانت أحب النساء اليه على الإطلاق فلما اشتكت اليه رأسها أخبرها أن بمحبها من الألم مثل الذي بها وهذا غاية الموافقة من المحب ومحبوبة يتألم بتألمه ويسر بسروره حتى إذا آلمه عضو من أعضائه الم المحب ذلك العضو بعينه وهذا من صدق المحبة وصفاء المودة فالمعنى الأول يفهم أنك لا تشتكي واصبري فيّ من الوجع مثل ما بك فتأسى بي في الصبر وعدم الشكوى.

والمعنى الثاني يفهم اعلامها بصدق محبته لها أي أنظري قوة محبتي لك كيف واسيتك في ألمك ووجع رأسك فلم تكوني متوجعة وأنا سليم من الوجع بل يؤلمني ما يؤلمك كما يسرني ما يسرك كا قيل :

وأن أولى البرايا أن تواسيه ۝ عند السرور الذي واساك في الحزن

وأما الشكوى فالأخبار العاري عن القصد الصحيح بل يكون مصدره السخط وشكاية المبتلي إلى غيره فإن شكا اليه سبحانه وتعالى لم يكن ذلك شكوى بل استعطاف وتملق واسترحام له كقول أيوب (ربي إني مسني الضر وأنت أرحم

الراحمين) وقول يعقوب (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) وقول موسى (اللهم لك الحمد واليك المشتكي وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك) وقول سيد ولد آدم (اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والأخرة أن يحل على غضبك أو أن ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك). فالشكوى إلى الله سبحانه لا تنافي الصبر بوجه فإن الله تعالى قال عن أيوب (إنا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب) مع أخباره عنه بالشكوى اليه في قوله (مسنى الضر) وأخبر عن نبيه يعقوب أنه وعد من نفسه بالصبر الجميل والنبي إذا قال وفي مع قوله (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله)، ولم يجعل ذلك نقصا لصبره. ولا يُلتفت إلى غير هذا من ترهات القوم، كما قال بعضهم لما قال (مسني الضر). قال تعالى (إنا وجدناه صابرا) ولم يقل صبورا حيث قال مسنى الضر. وقال بعضهم لم يقل ارحمني وإنما قال أنت أرحم الراحمين فلم يزد على الاخبار بحاله ووصف ربه، وقال بعضهم إنما شكا مس الضر حين ضعف لسانه عن الذكر فشكا مس ضر ضعف الذكر لا ضر المرض والألم. وقال بعضهم استخرج منه هذا القول ليكون قدوة للضعفاء من هذه الأمة، وكأن هذا القائل رأى أن الشكوى إلى الله تنافي الصبر وغلط أقبح الغلط فالمنافي للصبر شكواه لا الشكوى اليه فالله يبتلي عبده ليسمع تضرعه ودعاءه والشكوى اليه ولا يحب التجلد عليه وأحب ما اليه إنكسار قلب عبده وتذلله له واظهار ضعفه وفاقته وعجزه وقلة صبره فاحذر كل الحذر اظهار التجلد عليه وعليك بالتضرع والتمسكن وابداء العجز والفاقة والذل والضعف فرحمته أقرب إلي هذا القلب من اليد إلى الفم (الروح ٣٨٣).

الفرق بين مرتبة الاسماع ومرتبة الافهام

أن هذه المرتبة انما تحصل بواسطة الأذن، ومرتبة الافهام أعم. فهي أخص من مرتبة الفهم من هذا الوجه. ومرتبة الفهم أخص من وجه آخر. وهي أنها تتعلق بالمعنى المراد ولوازمه ومتعلقاته واشاراته. ومرتبه السماع مدارها على ايصال المقصود بالخطاب إلى القلب ويترتب على السماع سماع القبول. فهو إذن ثلاث مراتب: سماع الأذن، وسماع القلب، وسماع القبول والإجابة. (المدارج ١/ ٤٤).

الفرق بين الفراسة والالهام

والتحقيق في هذا [١]: أن كل واحد من (الفراسة) و (الالهام) ينقسم إلى عام وخاص. وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر، وعام كل واحد قد يقع كثيرا، وخاصة قد يقع نادرا. ولكن الفرق الصحيح أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل. وأما الالهام فموهبة مجردة، لا تنال بكسب البته. (المدارج ١/٤٥).

الفرق بين الرجاء والتمني

الفرق بينه وبين (التمني) أن (التمني) يكون مع الكسل. ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد. و (الرجاء) يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل.

فالأول: كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها.

والثاني: كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها. ويرجوا طلوع الزرع. ولهذا أجمع العافون على أن (الرجاء) لا يصح إلا مع العمل. (المدارج ٢/٣٥).

---

(١) يشير إلى من قال أن الإلهام فوق الفراسه.

الفرق بين المقامات والأحوال

والفرق بين الحال والمقام أن الحال معنى يرد على القلب من غير اجتلاب له ولا اكتساب ولا تعمد.

والمقام يتوصل اليه بنوع كسب وطلب. فالاحوال عندهم [١] مواهب، والمقامات مكاسب فالمقام يحصل ببذل المجهود، وأما الحال فمن عين الجود. (المدارج ٢/٤٤٧ وقد أشار إلى هذا الفرق في المدارج ٢/١٧١).

الفرق بين الحمد والشكر أيهما أعلى وأفضل؟

تكلم الناس في الفرق بين الحمد والشكر أيهما أعلى وأفضل؟ وفي الحديث (الحمد رأس الشكر، فمن لم يحمد الله لم يشكره).

والفرق بينهما : أن (الشكر) أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، و(الحمد) أعم من جهة المتعلقات، وأخص من جهة الأسباب ومعنى هذا : أن الشكر يكون : بالقلب خضوعاً واستكانه، وباللسان ثناء واعترافا، وبالجوارح طاعة وانقياد. ومتعلقة : النعم، دون الأوصاف الذاتيه، فلا يقال : شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه. وهو المحمود عليها. كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الاحسان والنعم.

فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس. فإن الشكر يقع بالجوارح. والحمد يقع بالقلب واللسان. (المدارج ٢/٢٤٦)

الفرق بين الغفلة والنسيان

أن (الغفلة) ترك باختيار الغافل والنسيان ترك بغير اختياره، ولهذا قال تعالى

(١) أي عند الصوفية.

(ولا تكن من الغافلين) ولم يقل : ولا تكن من الناسيين. فإن النسيان لا يدخل تحت التكليف فلا ينهى عنه. (المدارج ص ٤٣٤ الجز الثاني).

الفرق بين الطمأنينه والسكينة

قال صاحب المنازل [١] (الطمأنينه : سكون يقويه أمن صحيح، شبيه بالعيان. وبينهما وبين السكينة فرقان.

أحدهما : أن (السكينة) صولة تورث خمود الهيبة أحيانا. و (الطمأنينة) سكون أمن في استراحة أنس.

والثاني : أن (السكينة) تكون نعتا. وتكون حينا بعد حين، و (الطمأنين لا تفارق صاحبها).

قال إبن القيم (الطمأنينة) موجب السكينة. وأثر من آثارها. وكأنها نهاية السكينة فقوله (سكون يقويه أمن) أي سكون القلب مع قوة الأمن الصحيح الذي لا يكون أمن غرور. فإن القلب قد يسكن إلى أمن الغرور. ولكن لا يطمئن به لمفارقة ذلك السكون له. و(الطمأنينة) لا تفارقه، فإنها مأخوذة من الإقامة. يقال : اطمأن بالمكان والمنزل : إذا أقام به.

وسبب صحة هذا الأمن المقوى للسكون : شبهة بالعيان. بحيث لا يبقى معه شيء من مجوزات الظنون والأوهام . بل كأن صاحبه يعاين ما يطمئن به. فيأمن به اضطراب قلبه وقلقه وارتيابه.

وأما الفرقان اللذان ذكرهما بينهما وبين السكينة. فحاصل الفرق الأول: أن (السكينة) تصول على الهيبة الحاصلة في القلب. فتخمدها في بعض الأحيان. فيسكن القلب من انزعاج الهيبة بعض السكون. وذلك في بعض الأوقات فليس

(١) الشيخ أبو إسماعيل الهروي ومدارج السالكين شرح لكتابه منازل السائرين.

حكما دائما مستمرا. وهذا يكون لأهل (الطمأنينة) دائما. ويصحبه الأمن والراحة بوجود الأنس. فإن الاستراحة في (السكينة) قد تكون من الخوف والهيبة فقط والاستراحة في منزل (الطمأنينة) تكون مع زيادة الأنس. وذلك فوق مجرد الأمن، وقدر زائد عليه. وحامل الفرق الثاني: أن (الطمأنينة) مَلَكَه، ومقام لا يُفارق. والسكينة تنقسم إلى سكينة هي مقام ونعت لا يزول وإلى سكينة تكون وقتا دون وقت هذا حاصل كلامه.

والذي يظهر لي في الفرق بينهما أمران، سوى ماذكر.

أحدهما : أن ظفرة وفوزه بمطلوبه الذي حصّل له السكينة بمنزلة من واجهه عدو يريد هلاكه. فهرب منه عدوه. فسكن روعه. والطمأنينة بمنزلة حصن رآه مفتوحا فدخله وأمِن فيه. وتقوى بصاحبه وعدته. فالقلب ثلاثة أحوال :

أحدهما : الخوف والاضطراب والقلق من الوارد الذي يزعجه ويقلقه.

الثاني : زوال ذلك الوارد الذي يزعجه ويقلقه عنه وعدمه.

الثالث : ظفره وفوزه بمطلوبه الذي كان ذلك الوارد حائلا بينه وبينه.

وكل منهما يستلزم الآخر ويقارنه. فالطمأنينة تستلزم السكينة ولا تفارقها وكذلك بالعكس. ولكن استلزام الطمأنينة للسكينة أقوى من أستلزام السكينة للطمأنينة.

الثاني : أن (الطمأنينة) أعم. فإنها تكون في العلم والخبر به، واليقين والظفر بالمعلوم. ولهذا أطمأنت القلوب بالقرآن لما حصل لها الآيمان به. ومعرفته والهداية به في ظُلَم الآراء والمذاهب. واكتفت به منها وحكّمته عليها وعَزَلَتَها وجعلت له الولاية بأسرها كما جعلها الله. فبه خاصمت، واليه حاكمت. وبه صالت، وبه دفعت الشبه، وأما (السكينة) فإنها ثبات القلب عند هجوم المخاوف

عليه، وسكونه وزوال قلقه واضطرابه كما يحصل لحزب الله عند مقابلة العدو وصولته والله سبحانه أعلم. (المدارج ٥١٤/٢).

الفرق بين العلم والمعرفة لفظا ومعنى

أما اللفظ: ففعل المعرفة يقع على مفعول واحد. تقول: عرفت الدار، وعرفت زيدا. قال تعالى (فعرفهم وهم له منكرون) وقال (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) وفعل (العلم) يقتضي مفعولين كقوله تعالى (فإن علمتموهن مؤمنات) وإن وقع على مفعول واحد، كان بمعنى المعرفة. كقوله (وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) وأما الفرق المعنوي فمن وجوه: أحدهما: أن (المعرفة) تتعلق بذات الشيء. و (العلم) يتعلق بأحواله. فتقول: عرفت أباك، وعلمته صالحا عالما. ولذلك جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة. كقوله تعالي (فاعلم أنه لا آله إلا الله) وقوله (اعلموا أن الله شديد العقاب) وقوله (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله).

فالمعرفة: حضور صورة الشيئ ومثالة العلمي في النفس. والعلم: حضور أحواله وصفاته، ونسبتها إليه. فالمعرفة: تشبه التصور. والعلم: يشبه التصديق. والثاني: أن (المعرفة) في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد ادراكه، فإذا أدركه قيل: عرفه، أو تكون لما وصف له بصفات قامت في نفسه، فإذا رآه وعلم أنه الموصوف بها، قيل عرفه قال تعالى (ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم) وقال تعالى (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) وقال (الذين آتيانهم الكتاب بعرفونه كما يعرفون أبناءهم) لما كانت صفاته معلومة عندهم، فرأوه: عرفوه بتلك الصفات. وفي الحديث الصحيح (ان الله تعالى يقول لآخر أخل الجنة دخولا: أتعرف الزمان الذي كنت فيه ؟ فيقول: نعم. فيقول: تَمنّ. فيتمنى على ربه) وقال تعالي: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا. فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) فالمعرفة: تشبه الذكر للشيء.

وهو حضور ما كان غائبا عن الذكر. ولهذا كان ضد المعرفة: الإنكار. وضد العلم : الجهل. قال تعالى (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) ويقال : عرف الحق فاقر به. وعرفه فأنكره. الوجه الثالث – من الفرق – : أن (المعرفة) تفيد تميز المعروف من غيره و (العلم) يفيد تميز ما يوصف به عن غيره. وهذا الفرق غير الأول. فإن ذاك يرجع إلى ادراك الذات وادراك صفاتها. وهذا يرجع إلي تخليص الذات من غيرها، وتخليص صفاتها من صفات غيرها.

الفرق الرابع : أنك إذا قلت : علمت زيدا. لم يفد المخاطب شيئا. لأنه ينتظر بعد : أن تخبره على أي حال علمته ؟ فإذا قلت : كريما أو شجاعا، حصلت له الفائدة. وإذا قلت : عرفت زيدا. استفاد المخاطب : أنك اثبته وميزته عن غيره. ولم يبق منتظرا لشيء آخر، وهذا الفرق في التحقيق ايضاح للفرق الذي قبله الفرق الخامس – وهو فرق العسكري في فروقه – وفروق غيره : أن (المعرفة) علم بعين الشئ مفصلا عما سواه بخلاف (العلم) فإنه قد يتعلق بالشئ مجملا. وهذا يشبه فرق صاحب المنازل. فإنه قال (المعرفة احاطة بعين الشئ كما هو) وعلى هذا الحد : فلا يتصور أن يُعرف الله ألبته. ويستحيل عليه هذا الباب بالكلية فإن الله سبحانه لايحاط به علما، ولامعرفة ولا رؤية. فهو اكبر من ذلك وأجل وأعظم. قال تعالى (يعلم ما بين أيدهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) بل حقيقة هذا الحد : إنتقاء تعلق المعرفة بأكبر المخلوقات حتى باظهرها. وهو الشمس والقمر. بل لايصح أن يعرف أحد نفسة وذاته ألبته.

والفرق بين (العلم) (والمعرفة) عند أهل هذا الشأن : أن (المعرفة) عندهم هي العلم الذي يقوم العالم بموجبة ومقتضاه. فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده، بل لايصفون بالمعرفة إلا من كان عالما بالله، وبالطريق الموصل إلى الله، وبآفاتها وقواطعها. وله حال مع الله تشهد له بالمعرفة، فالعارف – عندهم من

عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله. ثم صدق الله في معاملته. ثم أخلص له في قصوده ونياته. ثم انسلخ من اخلاقه الرديئة وآفاته. ثم تطهر من اوساخه وادرانه ومخالفاته، ثم صبر على أحكام الله في نعمة وبلياته. ثم دعا اليه على بصيرة بدينه وآياته. ثم جرد الدعوة اليه وحده بما جاء به رسوله، ولم يَشُبْها بآراء الرجال وأذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومقولاتهم. ولم يزن بها ما جاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته، فهذا الذي يستحق اسم العارف علي الحقيقة إذا سمى به غيره على الدعوى والاستعارة. (المدارج ٣/٣٣٥-٣٣٨)

الفرق بين الجمع والفرق عند الصوفيه

(الجمع) في اللغة الضم، والاجتماع والانضمام، والتفريق : ضده. وأما في أصطلاح القوم : فهو شخوص البصيرة إلى من صدرت عنه المتفرقات كلها. وهو ثلاثة أنواع : جمع وجود. وهو جمع الزنادقة من أهل الاتحاد وجمع شهود. وجمع قصود. فإذا تحررت هذه الاقسام تحرر الجمع الصحيح من المفاسد. (المدارج ٣/٥٠٧).

الفرق بين الأمة والإمام

الوجه السابع والأربعون بعد المائة من فضل العلم

إن الله سبحانه وتعالى أثنى على أبراهيم خليله بقوله تعالى (ان إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه) فهذه أربع أنواع من الثناء افتتحها بأنه أمة والأمة هو القدوة الذي يؤتم به، قال ابن مسعود الأمة المعلم للخير وهي فعلة من الائتمام كقدوة وهو الذي يقتدي به والفرق بين الأمة والإمام من وجهين أحدهما أن الأمام كل ما يؤتم به سواء كان بقصده وشعوره أولا ومنه سمى الطريق أماما كقوله تعالى (وان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبإمام مبين) أي بطريق واضح لا يخفى على السالك ولا يسمى الطريق أمة.

الثاني أن الأمة فيه زيادة معني وهو الذي جمع صفات الكمال من العلم والعمل بحيث بقى فيها فردا وحده فهو الجامع لخصال تفرقت في غيره فكأنه باين غيره باجتماعه فيه وتفرقها أو عدمها في غيره ولفظ الأمة يشعر بهذا المعنى لما فيه من الميم المضعفة الدالة على الضم بمخرجها وتكريرها وكذلك ضم أولة فإن الضمة من الواو ومخرجها ينضم عند النطق بها وأتى بالتاء الدالة على الوحدة كالغرفة واللقمة ومنه الحديث أن زيد بن عمرو بن نفيل يبعث يوم القيامة أمة وحده فالضم والاجتماع لازم لمعنى الأمة ومنه سميت الأمة التي هي آحاد الأمم لأنهم الناس المجتمعون على دين واحد أو في عصر واحد.

الثاني قوله قانتا لله قال ابن مسعود القانت المطيع والقنوت يفسر بأشياء كلها ترجع إلي دوام الطاعة. الثالث قوله حنيفا والحنيف المقبل على الله ويلزم هذا المعنى ميله عما سواه فالميل لازم معنى الحنيف لا أنه موضوعة لغة. الرابع قوله شاكرا لانعمه والشكر للنعم مبنى على ثلاثة أركان الأقرار بالنعمة واضافتها إلي المنعم بها وصرفها في مرضاته والعمل فيها بما يجب فلا يكون العبد شاكرا إلا بهذه الأشياء الثلاثة والمقصود أنه مدح خليله بأربع صفات كلها ترجع إلى العلم والعمل بموجبه وتعليمه ونشره فعاد الكمال كله إلي العلم والعمل بموجبه ودعوة الخلق اليه. (المفتاح ص ١٧٤ الجزء الأول).

الفرق بين التذكر والتفكر

وكل من التذكر والتفكر له فائدة غير فائدة الآخر فالتذكر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ليرسخ فيه ويثبت ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب جملة والتفكير يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلا عند القلب فالتفكر يحصله والتذكر يحفظه ولهذا قال الحسن مازال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر وبالتفكر

علي التذكر ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة فالتفكر والتذكر بذار العلم وسقيه مطارحته ومذاكرته تلقيحه كما قال بعض السلف ملاقاة الرجال تلقيح لألبابها فالمذاكرة بها لقاح العقل فالخير والسعادة في خزانة مفتاحها التفكر فإنه لابد من تفكر وعلم يكون نتيجته الفكر وحال يحدث للقلب من ذلك العلم فإن كل من علم شيئا من المحبوب أو المكروه لابد أن يبقى لقلبه حالة وينضبغ بصبغة من علمه وتلك الحال توجب له ارادة وتلك الإرادة توجب له العمل فها هنا خمسة أمور الفكر وثمرته العلم وثمرتها الحالة التي تحدث للقلب وثمرة ذلك الإرادة وثمرتها العمل فالفكر إذاً هو المبداء والمفتاح للخيرات كلها وهذا يكشف لك عن فضل التفكر وشرفه وأنه من أفضل أعمال القلب وأنفعها له حتى قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فالفكر هو الذي ينقل من موت الفطنة إلي حياة اليقظة ومن المكاره إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة ومن سجن الدنيا إلي فضاء الآخرة ومن ضيق الجهل إلي سعة العلم ورحبة ومن مرض الشهوة والأخلاد إلى هذه الدار إلى شفاء الإنابة إلي الله والتجافي عن دار الغرور ومن مصيبة العمى والصمم والبكم إلى نعمة البصر والسمع والفهم عن الله والعقل عنه ومن أمراض الشبهات إلي برد اليقين وثلج الصدور (وبالجملة) فأصل كل طاعة إنما هي الفكر وكذلك أصل كل معصية إنما يحدث من جانب الفكرة فإن الشيطان يصادف أرض القلب خالية فارغة فيبذر فيها حب الأفكار الردية فيتولد منه الارادات والعزوم فيتولد منها العمل فإذا صادف أرض القلب مشغولة ببذر الأفكار النافعة فيما خلق له وفيما أمر به وفيما هيئ له وأعد له من النعيم المقيم أو العذاب الأليم لم يجد لبذره موضعا وهذا كما قيل :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا فارغا فتمكنا

(المفتاح ص ١٨٣ الجزء الأول)

الفرق بين الحب والخوف

أن الخوف يتعلق بالأفعال، وأما الحب فإنه يتعلق بالذات والصفات. ولهذا يزول الخوف في الجنة، وأما الحب فيزداد. ولما كان الحب يتعلق بالذات كان من أسمائه سبحانه (الودود) قال البخاري في صحيحه : (الحبيب). وأما الخوف فإن متعلقه أفعال الرب. ولا يخرج عن كون سببه جناية العبد، وان كانت جنايته من قدر الله. ولهذا قال على بن أبي طالب : لايرجون عبد إلاّ ربه، ولايخافنّ عبد إلا ذنبه، فمتعلق الخوف ذنب العبد وعاقبته، وهي مفعولات للرب، فليس الخوف عائدا إلى نفس الذات، والفرق بينه وبين الحب أن الحب سببه الكمال، وذاته تعالى لها الكمال المطلق، وهو متعلق الحب التام أما الخوف فسببه توقع المكروه وهذا إنما يكون في الافعال والمفعولات. وبهذا يعلم بطلان قول من زعم أنه سبحانه يُخاف لا لعلة ولا لسبب، بل كما يُخاف السيل الذي لايدري العبد من أين يأتيه. وهذا بناء من هؤلاء على نفي محبته سبحانه وحكمته. وأنه ليس إلا محض المشيئة والإرادة التي ترجح مثلا على مثل بلا مرجح، ولا يراعى فيها حكمه ولا مصلحة. وهؤلاء عندهم الخوف يتعلق بنفس الذات من غير نظر إلى فعل العبد وأنه سبب المخافة، إذا ليس عندهم سبب ولا حكمه، بل ارادة محضة يفعل بها ما يشاء من تنعيم وتعذيب. وعند هؤلاء فالخوف لازم للعبد في كل حال، أحسن أم أساء. وليس لافعاله تأثير في الخوف. وهذا من قلة نصيبهم من المعرفة بالله وكماله وحكمته. وأين هذا من قول أمير المؤمنين على: لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه ؟ فجعل الرجاء متعلقا بالرب سبحانه وتعالى، لأن رحمته من لوازم ذاته، وهي سبقت غضبه. وأما الخوف فمتعلق بالذنب، فهو سبب المخافة، حتى لو قدر عدم الذنب بالكلية لم تكن مخافة .

(طريق الهجرتين ص ٥٠٧-٥٠٨).

الفرق بين الخلة والمحبة

وقد ظن بعض من لا علم عنده أن الحبيب أفضل من الخليل، وقال : محمد حبيب الله وإبراهيم خليل الله، وهذا باطل من وجوه كثيرة منها : أن الخلة خاصة والمحبة عامة فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وقال في عباده المؤمنين : (يحبهم ويحبونه)، ومنها : أن النبي ﷺ نفى أن يكون له من أهل الأرض خليل، وأخبر أن أحب النساء إليه عائشة ومن الرجال أبوها، ومنها : أنه قال : (ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا). ومنها أنه قال : (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لأتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام ومودته). (روضة المحبين ص ٤٩).

الفرق بين المحبة والشوق

الفرق بينهما فرق ما بين الشيء وأثره. فإن الحامل على الشوق هو المحبة ولهذا يقال : لمحبتي له اشتقت اليه وأحببته فاشتقت إلى لقائه. ولا يقال : لشوقي اليه أحببته، ولا اشتقت إلى لقائه فأحببته. فالمحبة بذر في القلب، والشوق بعض ثمرات ذلك البذر. وكذلك من ثمرات حمد المحبوب والرضى عنه وشكره وخوفه ورجاؤه والتنعم بذكره والسكون إليه والأنس به والوحشة بغيره، وكل هذه من أحكام المحبة وثمراتها، وهو حياتها، فمنزلة الشوق من المحبة منزلة الهرب من البغضاء والكراهة : فإن القلب إذا أبغض الشيء وكرهه جد في الهرب منه، وإذا أحبه جد في الهرب إليه وطلبه، فهو حركة القلب في الظفر بمحبوبة ولشدة ارتباط الشوق بالمحبة يقع كل واحد منهما موقع صاحبه ويفهم منه ويعبر به عنه. (طريق الهجرتين ٥٧٧).

الفرق بين الشح والبخل

أن الشح : هو شدة الحرص على الشيء والاحفاء في طلبه، والاستقصاء في

تحصيله، وجشع النفس عليه، والبخل : منع انفاقه بعد حصوله وحبه وامساكه، فهو شحيح قبل حصوله، بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة الشح، والشح يدعوا إلي البخل، والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووُقِي شره، وذلك هو المفلح : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون). (الوابل الصيب ص ٦٤).

الفرق بين تبعه وأتبعه

وكذلك الذي أتاه الرب تبارك وتعالى آياته (فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) وقال تعالى (ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) وتأمل قوله تعالى (آتيناه آياتنا) فأخبر ان ذلك انما حصل له بايتاء الرب له لا بتحصيله هو. ثم قال (فانسلخ منها) ولم يقل فسلخناه بل أضاف الانسلاخ اليه وعبر عن برائته منها بلفظة الانسلاخ الدالة علي تخليه عنها بالكلية وهذا شأن الكافر. وأما المؤمن ولو عصى الله تبارك وتعالى ما عصاه فإنه لا ينسلخ من الإيمان، ثم قال : (فأَتْبَعَه الشيطان) ولم يقل فتبعه. فإن في أتبعه اعلاما بأنه أدركه ولحقه، كما قال الله تعالى : (فأتْبعوهم مشرقين) أي لحقوهم ووصلوا اليهم ثم قال : (ولو شئنا لرفعناه بها) ففي ذلك دليل على أن مجرد العلم لا يرفع صاحبه، فهذا قد اخبر الله سبحانه وتعالى أنه آتاه آياته ولم يرفعه بها فالرفعة بالعلم قدر زائد على مجرد تعلمه، ثم أخبر الله عز وجل عن السبب الذي منعه أن يُرفع بها، فقال (ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه) وقوله (أخلد إلى الأرض) أي سكن اليها ونزل بطبعه اليها، فكانت نفسه أرضية سفلية لاسماوية علويه، وبحسب ما يخلد العبد إلى الأرض يهبط من السماء. (الروضة ص ١٩٤).


باب
أصول الفقه

الفرق بين مطلق الأمر والأمر المطلق

الأمر المطلق والجرح والعلم المطلق والترتيب المطلق والبيع المطلق والماء المطلق غير مطلق الأمر والجرح والعلم إلى آخرها والفرق بينهما من وجوه (أحدهما) أن الأمر المطلق لا ينقسم إلى أمر الندب وغيره فلا يكون موردا للتقسيم . . . ومطلق الأمر ينقسم إلى أمر ايجاب وأمر ندب فمطلق الأمر ينقسم والأمر المطلق غير منقسم (الثاني) أن الأمر المطلق فرد من افراد مطلق الأمر ولا ينعكس (الثالث) أن نفي مطلق الأمر يستلزم نفي الأمر المطلق دون العكس (الرابع) أن ثبوت مطلق الأمر لا يستلزم ثبوت الأمر المطلق دون العكس (الخامس) أن الأمر المطلق نوع المطلق الأمر ومطلق الأمر جنس للأمر المطلق (السادس) أن الأمر المطلق مقيد بالاطلاق لفظا مجرد عن التقييد معنى ومطلق الأمر مجرد عن التقييد لفظا مستعمل في المقيد وغيره معنى (السابع) أن الأمر المطلق لا يصلح للمقيد ومطلق الأمر يصلح للمطلق والمقيد (الثامن) أن الأمر المطلق هو المقيد بقيد الاطلاق فهو متضمن للاطلاق والتقييد ومطلق الأمر غير مقيد وان كان بعض افراده مقيداً (التاسع) إنك إذا قلت الأمر المطلق فقد ادخلت اللام على الأمر وهي تفيد العموم والشمول ثم وصفته بعد ذلك بالاطلاق بمعنى انه لم يفيد ويوجب تخصيصه من شرط أوصفه أو غيرهما فهو عام في كل فرد من الأفراد التي هذا نشأنها وأما مطلق الأمر بالاضافة فهي ليست للعموم بل للتمييز فهو قدر مشترك مطلق لاعام فيصدق بفرد من افراده وعلى هذا فمطلق البيع جائز والبيع المطلق ينقسم إلى

جائز وغيره والأمر المطلق للوجوب ومطلق الأمر ينقسم إلى واجب والمندوب والماء المطلق طهور ومطلق الماء ينقسم إلى طهور وغيره والملك المطلق هو الذي يثبت للحر ومطلق الأمر يثبت للعبد. (البدائع ٤/١٦).

الفرق بين دليل مشروعية الحكم و دليل وقوع الحكم

الفرق بين دليل مشروعية الحكم وبين دليل وقوع الحكم فالأول متوقف على الشارع والثاني يعلم بالحس أو الخبر أو الزيادة (فالأول) الكتاب والسنة ليس إلا وكل دليل سواهما يستنبط منهما (والثاني) مثل العلم بسبب الحكم وشروطه وموانعه فدليل مشروعيته يرجع فيه إلى أهل العلم بالقرآن والحديث ودليل وقوعة يرجع فيه إلى أهل الخبرة بتلك الاسباب والشروط والموانع. ومن أمثله ذلك بيع المغيب في الأرض من السلجم والجزر والقلقاس وغيره فدليل المشروعية أو منعها موقوف على الشارع لايعلم إلا من جهته (ودليل) سبب الحكم أو شروطه أو مانعه يرجع فيه إلى أصله (فإذا) قال المانع من الصحة هذا غرر لأنه مستور تحت الأرض (قيل) كون هذا غرراً أو ليس بغرر يرجع إلى الواقع لا يتوقف على الشرع فإنه من الأمور العادية المعلومة بالحس أو العاده مثل كونه صحيحاً أو سقيماً وكباراً أو صغاراً ونحو ذلك فلا يستدل على وقوع اسباب الحكم بالإدلة الشرعية كما لايستدل على شرعيته بالأدلة الحسية فكون الشئ متردداً بين السلامة والعطب وكونه مما يجهل عاقبته وتطوى مغبته أو ليس كذلك يعلم بالحس أو العادة لا يتوقف على الشرع ومن استدل على ذلك بالشرع فهو كمن استدل على أن هذا الشراب مسكر بالشرع وهذا ممتنع بل دليل اسكاره الحس ودليل تحريمه الشرع. فتأمل هذه الفائدة ونفعها ولهذه القاعدة عبارة أخرى وهي أن دليل سببيه الوصف غير دليل ثبوته فيستدل على سببيته بالشرع وعلى ثبوته بالحس أو العقل أو العادة. فهذا شئ. وذلك شئ. (البدائع ٤/١٥).

الفرق بين الاستدلال والدلالة

الاستدلال شئ. والدلالة شئ آخر فلايلزم من الغلط في احدهما الغلط في الآخر فقد يغلط في الاستدل والدلالة صحيحة كما يستدل بنص منسوخ أو مخصوص على حكم فهو دال عليه تناولا والغلط في الاستدلال لا في الدلالة وعكسة كما إذا استدللنا بالحيضة الظاهرة على براءة الرحم فحكمنا بحلها للزوج ثم بانت حاملاً فالغلط هنا وقع في الدلالة نفسها لا في الاستدلال فتأمل هذه الفروق. (البدائع ٤/٢٠٧).

الفرق بين النية والقصد

النية هي القصد بعينه ولكن بينها وبين القصد فرقان (أحدهما) أن القصد معلق بفعل الفاعل نفسه وبفعل غيره والنيه لا تتعلق إلا بفعله نفسه فلا يتصور أن ينوي الرجل فعل غيره ويتصور أن يقصده ويريده (الفرق الثاني) أن القصد لايكون إلا بفعل مقدور يقصده الفاعل أما النية فينوي الإنسان ما يقدر عليه وما يعجز عنه. ولهذا في حديث أبي كبشه الانماري الذي رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن النبي ﷺ (إنما الدنيا لاربعه نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي في ماله ربه ويصل فيه رحمه ويعلم الله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل عند الله وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالا فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته واجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علماً فهو يخبط فيه ينفقه في غير حقه ورجل لم يؤته الله مالا ولا علماً فهو يقول لوكان لي مثل ما لهذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال رسول الله ﷺ فهما في الوزر سواء) فالنية تتعلق بالمقدوم عليه والمعجوز عنه بخلاق القصد والإادة فإنهما لا يتعلقان بالمعجوز عنه لامن فعله ولا من فعل غيره وإذا عرفت حقيقة النيه ومحلها من الإيمان وشرائعه تبين الكلام في المسئلة نفيا واثباتاً بعلم وانصاف. (البدائع ٣/١٩٠).

الفرق بين الشهادة والرواية

الفرق بين الشهادة والرواية أن الرواية يعم حكمها الراوي وغيره على مر الأزمان والشهادة تخص المشهود عليه وله ولا يتعداهما إلا بطريق التبعية المحضة فالزام المعين يتوقع منه العدواة وحق المنفعة والتهمة الموجبة للرد فاحتيط لها بالعدد والذكورية وردت بالقرابة والعدواة وتطرق التهم ولم يفعل مثل هذا في الرواية التي يعم حكمها ولايخص فلم يشترط فيها عدد ولا ذكورية بل اشترط فيها ما يكون مغلباً على الظن صدق الخبروهو العدالة المانعة من الكذب واليقظة المانعة من غلبة السهو والتخليط ولما كان النساء ناقصات عقل ودين ولم يكن من أهل الشهادة فإذا دعت الحاجة إلى ذلك قويت المرأة بمثلها لأنه حينئذ أبعد من سهوها وغلطها لتذكير صاحبتها لها وأما اشتراط الحرية ففي غاية البعد ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا اجماع وقد حكى أحمد عن أنس بن مالك أنه قال ما علمت أحداً آرادّ شهادة العبد والله تعالى يقبل شهادته على الأمم يوم القيامة فكيف لا يقبل شهادته على نظيرة من المكلفين ويقبل شهادته على الرسول ﷺ في الرواية فكيف لا يقبل على رجل في درهم ولا ينتقص هذا بالمرأة لانها تقبل شهادتها مع مثلها لما ذكرناه والمانع من قبول شهادتها وحدها منتف في العبد وعلى هذه القاعدة مسائل أحدها الاخبار عن رؤية هلال رمضان من اكتفى فيه بالواحد جعله رواية لعمومه للمكلفين فهو كالآذان ومن اشترط فيه العدد الحقه بالشهادة لأنه لا يعم الاعصار ولا الامصار بل يخص تلك السنة وذلك المصر في أحد القولين وهذا ينتقض بالآذان نقضاً لا محيص عنه. وثانيها الاخبار بالنسب بالقافه فمن حيث أنه خبر جزءى عن شخص جزءى يخص ولا يعم جرى مجرى الشهادة ومن جعله كالرواية غلط فلا مدخل لها هنا بل الصواب أن يقال من حيث هو منتصب للناس انتصاباً عاما يستند قوله إلى أمر يختص به من دونهم من الادلة والعلامات جرى

مجرى الحاكم فقوله حكم لارواية. ومن هذا الجرح للمحدث والشاهد هل يكتفي فيه بواحد اجراء له مجرى الحكم أولابد من اثنين اجراء له مجرى الشهادة على الخلاف وأما أن يجري مجرى الرواية فغير صحيح وأما للرواية (١) والجرح وإنما هو يجرحة باجتهاده لا بما يرويه عن غيره. ومنها الترجمة للفتوي والخط والشهادة وغيرها هل يشترط فيها التعدد مبني على هذا ولكن بناؤه على الرواية والشهادة صحيح ولا مدخل للحكم هنا. ومنها التقويم للسلع ومن اشترط العدد رآه شهاده ومن لم يشترطه اجراه مجرى الحكم لا الرواية. ومنها القاسم هل يشترط تعدده على هذه القاعدة والصحيح الاكتفاء بالواحد لقصة عبدالله بن رواحة. ومنها تسبيح المصلى بالامام هل يشترط أن يكون المسبح اتنين فيه قولان مبنيان على هذه القاعدة ومنها المخبر عن نجاسة الماء هل يشترط تعدده فيه قولان. ومنها الخارص والصحيح في هذا كله الاكتفاء بالواحد كالمؤذن وكالمخبر بالقبلة وأما تسبيح المأمور بامامه ففيه نظر ومنها المفتي يقبل واحد اتفاقا ومنها الاخبار عن قدم العيب وحدوثه عن التنازع والصحيح الاكتفاء فيه بالواحد كالتقويم والقائف. (البدائع ١/٦٠٥).

وقبول شهادة العبد: هو موجب الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وصريح القياس وأصول الشرع وليس مع ردها كتاب ولاسنة ولا اجماع ولاقياس قال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا) والوسط: العدل والخيار، ولاريب في دخول العبد في هذا الخطاب، فهو عدل بنص القرآن فدخل تحت قوله: (وأشهدو ذوي عدل منكم) وقاله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) في النساء والمائدة

(١) قوله وإما للرواية إلى قوله عن غيره غير ظاهر التركيب وفي نسخه وأما الرواية والجرح وهو ان كان الخ فايضا غير ظاهر ولعل الصواب هكذا لإنه إنما يجرحه باجتهاده الخ. ويكون تحليلا لقوله فغير صحيح ويكون قوله وأما للرواية والجرح مقحم. (١ هـ من هامش بدائع الفوائد).

وهو من الذين آمنوا قطعا. فيكون من الشهداء لذلك، وقال تعالى: (واستشدوا شهيدين من رجالكم)، ولا ريب أن العبد من رجالنا، وقال تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) والعبد المؤمن الصالح من خير البرية فكيف ترد شهادته؟ وقد عدله الله ورسوله، كما في الحديث المعروف المرفوع «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» والعبد يكون من حملة العلم، فهو عدل بنص الكتاب والسنة، واجمع الناس على أنه مقبول الشهاده على رسول الله ﷺ ولا تقبل شهادته على واحد من الناس؟ ولايقال: باب الرواية أوسع من باب الشهادة فيحتاط مالايحتاط للرواية. فهذا كلام جرى على السن كثير من الناس، وهو عار عن التحقيق والصواب، فإن أولى ما ضبط واحتيط له: الشهادة على الرسول ﷺ، والرواية عنه، فإن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، وإنما ردت الشهادة بالعداوة والقرابة دون الرواية. لتطرق التهمه إلى شهادة العدو وشهادة الولد. وخشية عدم ضبط المرأة وحفظها وأما العبد: فما يتطرق اليه من ذلك يتطرق إلى الحر سواء ولا فرق بينه في ذلك البتة، فالمعنى الذي قبلت به روايته: هو المعنى الذي تقبل به شهادته وأما المعنى الذي ردت به شهادة العدو والقرابة والمرأة فليس موجودًا في العبد. (الطرق الحكميّة ص ١٩٤).

الفرق بين العقد المطلق ومطلق العقد

وأيضا فقولكم «إن موجب العقد استحقاق التسليم عقيبه» أتعنون أن هذا موجب العقد المطلق أو مطلق العقد؟ فإن اردتم الأول فصحيح وإن اردتم الثاني فممنوع؟ فإن مطلق العقد ينقسم إلى المطلق والمقيد وموجب العقد المقيد ما قيدبه، كما أن موجب العقد المقيد بتأجيل الثمن وثبوت خيار الشرط والرهن والضمين هو ما قيد به وإن كان موجبه عند اطلاقه خلاف ذلك، فموجب العقد المطلق شئ وموجب العقد المقيد شئ. (الاعلام ٢/١١).

الفرق بين الفتيا للقريب والشهادة له :

الفائدة السابعة والعشرون : يجوز للمفتي أن يفتي أباه وابنه وشريكه ومن لا تقبل شهادته له، وإن لم يجز أن يشهد له ولا يقضي له والفرق بينهما أن الإفتاء يجري مجرى الرواية، فكأنه حكم عام، خلاف الشهادة والحكم فإنه يخص المشهود له والمحكوم له ولهذا يدخل الرواي في حكم الحديث الذي يرويه ويدخل في حكم الفتوى التي يفتى بها، ولكن لا يجوز له أن يحابي من يفتيه فيفتي أباه أو أبنه أو صديقه بشئ، ويفتي غيرهم بضده محاباة بل هذا يقدح في عدالته، إلا أن يكون ثم سبب يقتضي التخصيص غير المحاباه، ومثال هذا أن يكون في المسألة قولان قول بالمنع وقول بالاباحة. فيفتى ابنه وصديقه بقول الاباحة والاجنبي يقول المنع. (الإعلام ٤/٢١٠).

الفرق بين ما قاله ﷺ متعلقا بمنصب الرساله أو الإمامية :

وفي هذه الغزوه [١] انه قال من قتل قتيلا له عليه بينه فله سلبه وقاله في غزوة أخرى قبلها فاختلف الفقهاء هل هذا السلب مستحق بالشرع أو بالشرط على قولين هما روايتان عن أحمد أحدهما أنه له بالشرع شرطة الإمام أو لم يشرطه وهو قول الشافعي رحمة الله والثاني أنه لا يستحق إلا بشرط الإمام وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وقال مالك رحمه الله لايستحق إلا بشرط الإمام بعد القتال فلو نص قبله لم يجز قال مالك ولم يبلغني أن النبي ﷺ قال ذلك إلا يوم حنين وإنما نفل النبي ﷺ بعد أن برد القتال ومأخد النزاع أن النبي ﷺ كان هو الإمام والحاكم والمفتى وهو الرسول فقد يقول الحكم بمنصب الرسالة فيكون شرعًا عامًا إلى يوم القيامة كقوله من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد وقوله من زرع في أرض قوم بغير اذنهم فليس له من الزرع شئ وله نفقته وكحكمة بالشاهد واليمين

(١) غزوة حنين.

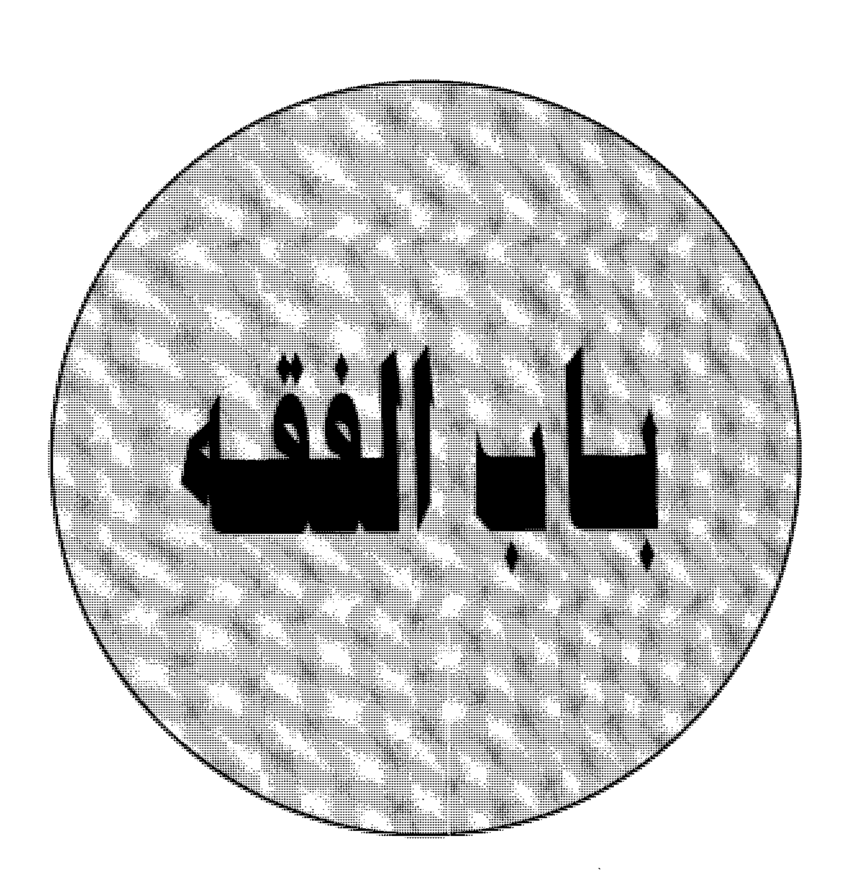
وبالشفعة فيما لم يقسم وقد يقول بمنصب الفتوى كقوله لهند بنت عتبه امرأة أبي سفيان وقد شكت اليه شح زوجها وأنه لا يعطيها ما يكفيها خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فهذه فتيا لاحكم إذ لم يدع بأبي سفيان ولم يسأله عن جواب الدعوى ولا سألها البينه وقد يقوله بمنصب الإمامه فيكون مصلحة للأمه في ذلك الوقت وذلك المكان وعلى تلك الحال فيلزم من بعده من الأئمة مراعاة ذلك على حسب المصلحة التي راعاها النبي ﷺ زمانا ومكانًا وحالا ومن ههنا تختلف الأئمة في كثير من المواضع التي فيها أثر عنه ﷺ كقوله ﷺ من قتل قتيلا فله سلبه هل قاله بمنصب الإمامه فيكون حكمه متعلقا بالإئمه أو بمنصب الرسالة والنبوة فيكون شرعًا عامًا وكذلك قوله من أحيا أرضا ميته فهي له هل هو شرع عام لكل أحد اذن فيه الإمام أو لم يأذن أو هو راجع إلى الأئمة فلا يملك بالإحياء إلا بإذن الإمام على القولين فالأول للشافي وأحمد رحمهما الله في ظاهر مذهبهما والثاني لابي حنيفة وفرق مالك بين الفلوات الواسعة وما لايتشاح فيه الناس وبين مايقع فيه التشاح فاعتبر آذن الامام في الثاني دون الأول. (الزاد ٢/١٩٤ - ١٩٥).

الفرق بين الشرط والأمارة المحضة

جعل الشرط مجرد علامة ودليل ومعرف اخراج للشرط عن كونه شرطا وأبطال لحقيقته، فإن العلامة والدليل [و] المعرف ليست شروطا في المدلول المعرف ولايلزم من نفيها نفيه فإن الشئ يثبت بدون علامه ومعرف له والمشروط ينتفي لانتفاء شرطه وإن لم يوجد لوجوده وكل العقلاء متفقون على الفرق بين الشرط والأمارة المحضة وأن حقيقة أحدهما وحكمه دون حقيقة الاخر وحكمه وإن كان قد يقال. إن العلامة شرط في العلم بالمعلم والدليل شرط في العلم بالمدلول فذاك أمر وراء الشرط في الوجود الخارجي فهذا شيء وذلك شيء آخر وهذا حق ولهذا ينتفي العلم بالمدلول عند إنتقاء دليله ولكن هل يقول أحد إن المدلول

ينتفي لانتفاء دليله؟

فإن قيل : نعم، قد قاله غير واحد. وهو انتفاء الحكم الشرعي لإنتفاء دليله قيل نعم فإن الحكم الشرعي لا يثبت بدون دليلة فدليلة موجب لثبوته فإذا انتفى الموجب انتفى الموجب ولهذا يقال : لاموجب فلا موجب أما شرط اقتضاء السبب لحكمه فلا يجوز اقتضاؤه بدون شرطه ولو تأخر الشرط عنه لكان مقتضياً بدون شرطه وذلك يستلزم اخراج الشرط عن حقيقته وهو محال. (الإعلام ٣/٢٨٤).


باب الفقه

الفرق بين الحائض والجنب

الفرق الصحيح بينها وبين الجنب مانع من الإلحاق، وذلك من وجوه، أحداها : أن الجنب يمكنه التطهر متى شاء بالماء أو التراب فليس له عذر في القراءة [1] مع الجنابة بخلاف الحائض والثاني : أن الحائض يشرع لها الإحرام والوقوف بعرفة وتوابعه مع الحيض بخلاف الجنب، الثالث : أن الحائض يشرع لها أن تشهد العيد مع المسلمين وتعتزل المصلى بخلاف الجنب. (الاعلام ص ٣٥ الجزء الثالث)

الفرق بين الطواف والصلاة

الفوارق بين الصلاةو الطواف أكثر من الجوامع، فإنه يباح فيه الكلام والأكل والشرب والعمل الكثير وليس فيه تحريم ولا تحليل ولا ركوع ولا سجود ولا قراءة ولا تشهد، ولا تجب له جماعة، وإنما اجتمع هو والصلاة في عموم كونه طاعة وقربة، وخصوص كونه متعلقا بالبيت، وهذا لا يعطيه شروط الصلاة كما لا يعطيه واجباتها وأركانها. (الإعلام ٣٨/٣).

الفرق بين العاجز عن الطهور حسا والعاجز عنه شرعا

فإن قيل : فهل في الحديث[2] حجة من قال : إن عادم الطهورين لا يصلي، حتى يقدر على أحداهما، لأن صلاته غير مفتتحة بمفاتيحها، فلا تقبل منه؟ قيل قد استدل به من يرى ذلك، ولا حجة فيه.

---

(١) ذكر ابن القيم هذا الكلام في معرض رده على اللذين يمنعون قرأة القرآن للحائض ويلحقونها بالجنب.
(٢) يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام «مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم».

ولابد من تمهيد قاعدة يتبين بها مقصود الحديث، وهي أن ما أوجبه الله تعالى ورسوله، أو جعله شرطا للعباده، أو ركنا فيها، أو وقف صحتها عليه: هو مقيد بحال القدره لأنها الحال التي يؤمر فيها به، وأما في حال العجز فغير مقدور ولا مأمور، فلا تتوقف صحة العبادة عليه. وهذا كوجوب القيام والقراءة والركوع والسجود عند القدرة، وسقوط ذلك بالعجز، وكاشتراط ستر العورة، واستقبال القبلة عند القدرة، ويسقط بالعجز. وقد قال ﷺ (لايقبل الله صلاة حائض إلا بخمار) ولو تعذر عليها الخمار صلت بدونه، وصحت صلاتها. وكذلك قوله (لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ) فإنه لو تعذر عليه الوضوء صلى بدونه، وكانت صلاته مقبولة. وكذلك قوله ﷺ (لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود) فإنه لو كُسر صلبه وتعذر عليه اقامته أجرأته صلاته ونظائره كثيرة فيكون (مفتاح الصلاة الطهور) هو من هذا. لكن هنا نظر آخر، وهو أنه إذا لم يمكن اعتبار الطهور عند تعذره فإنه يسقط وجوبه فمن أين لكم أن الصلاة تشرع بدونه في هذا الحال؟ وهذا حرف المسألة، وهلا قلتم: أن الصلاة بدونه كصلاة مع الحيض غير مشروعه، لما كان الطهور غير مقدور للمرأة، فلما صار مقدوراً لها شرعت لها الصلاة وترتبت في ذمتها، فما الفرق بين العاجز عن الطهور شرعاً والعاجز عنه حسا؟ فإن كل منهما غير متمكن من الطهور؟ قيل: هذا سؤال يحتاج إلى جواب. وجوابه أن يقال: زمن الحيض جعله الشارع منافيا لشرعيه العبادات، من الصلاة، والصوم، والاعتكاف. فليس وقتا لعبادة الحائض، فلا يترتب عليها فيه شئ. وأما العاجز فالوقت في حقه قابل لترتب العباده المقدورة في ذمته، فالوقت في حقه غير مناف لشرعية العبادة بحسب قدرته، بخلاف الحائض، فالعاجز ملحق بالمريض المعذور الذي يؤمر بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه، والحائض ملحقة بمن هو من غير أهل التكليف، ففترقا.

ونكتة الفرق : أن زمن الحيض ليس زمن تكليف بالنسبة إلى الصلاة، بخلاف العاجز، فإنه مكلف بحسب الاستطاعة، وقد ثبت في صحيح مسلم (أن النبي ﷺ بعث أناسا لطلب قلادة أضلتها عائشة، فحضرت الصلاة، فصلوا بغير وضوء، فأتوا النبي ﷺ فذكروا ذلك له فنزلت أية التيمم). فلم ينكر النبي ﷺ عليهم ولم يأمرهم بالإعادة، وحالة عدم التراب كحالة عدم مشروعيته، ولا فرق، فإنهم صلوا بغير تيمم لعدم مشروعية التيمم حينئذ. فهكذا من صلى بغير تيمم لعدم ما يتيمم به، فأي فرق بين عدمه في نفسه وعدم مشروعيته؟

فمقتضى القياس والسنة أن العادم يصلي على حسب حاله، فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يعيد، لأنه فعل ما أمر به، فلم يجب عليه الإعادة، كمن ترك القياس والاستقبال والسترة والقراءة لعجزه عن ذلك، فهذا موجب النص والقياس. (تهذيب السنن ١/٤٧).

الفرق بين أن يقول (أنت حر بعد موتي) وبين أن يقول (إن مت وأنت في ملكي فأنت حر بعد موتي)

أن هذا تعليق للعتق بصفة، وذلك لا يمنع بيع العبد كما لو قال (أن دخلت الدار فأنت حر) فله بيعه قبل وجود الصفة بخلاف قوله (أنت حر بعد موتي) فإنه جزم بحريته في ذلك الوقت، ونظير هذا أنه لو قال له (إن مت قبلي فأنت في حل من الدين الذي عليك) فهو إبراء معلق بصفة ولو قال له (أنت في حل بعد موتي) صح ولم يكن تعليقا للابراء بالشرط، ونظيره لو قال (ان مت فداري وقف) فإنه تعليق للوقف بالشرط، ولو قال (هي وقف بعد موتي) صح، والله أعلم. الإعلام (١٤/٤).

الفرق بين لمس الذكر وسائر الجسد في نقض الوضوء

أنه قد ثبت الفرق بين الذكر وسائر الجسد في النظر والحس، فثبت عن رسول

الله ﷺ (أنه نهى أن يمس الرجل ذكره بيمينه) فدل على أن الذكر لا يشبه سائر الجسد، ولهذا صان اليمين عن مسه، فدل على أنه ليس بمنزلة الأنف، والفخذ، والرجل، فلو كان كما قال المانعون : أنه بمنزلة الإبهام واليد والرجل لم ينه عن مسه باليمين. والله اعلم. (تهذيب السنن ١/٤٧).

الفرق بين النكاح والسفاح

ومن الحيل المحرمة التي يكفر من أفتى بها تمكين المرأة ابن زوجها من نفسها لينفسخ نكاحها حيث صارت موطوءة ابنه، وكذا بالعكس، أو وطئة حماته لينفسخ نكاح امرأته، مع أن هذه الحيلة لا تتمشى إلا على قول من يرى أن حرمة المصاهرة تثبت بالزنا كما تثبت بالنكاح كما يقوله أبو حنيفة وأحمد في المشهور من مذهبه، والقول الراجح أن ذلك لا يحرم كما هو قول الشافعي واحدى الروايتين عن مالك، فإن التحريم بذلك موقوف على الدليل، ولا دليل من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس صحيح، وقياس السفاح على النكاح في ذلك لا يصح لما بينهما من الفروق، والله تعالي جعل الصهر قسيم النسب، وجعل ذلك من نعمة التي أمتن بها على عباده، فكلاهما من نعمه واحسانه، فلا يكون الصهر من آثار الحرام وموجباته كما لا يكون النسب من آثاره، بل إذا كان النسب الذي هو أصل لا يحصل بوطء حرام فالصّهْر الذي هو فرع عليه ومشبّه به أولى ألا يحصل بوطء الحرام، وأيضا فإنه لو ثبت تحريم المصاهرة لا تثبت المحرمية التي هي من أحكامه، فإذا لم تثبت المحرميه لم تثبت الحرمة، وأيضا فإن الله تعالي إنما قال (وحلائل أبنائكم) ومن زنا بها الابن لا تسمى حليلة لغة ولا شرعا ولا عرفا. (الإعلام ٣/٢٥٥).

الفرق بين المتمتع والقارن

والفرق بين القارن والمتمتع السابق من وجهين. أحدهما من الاحرام فإن

القارن هو الذي يحرم بالحج قبل الطواف إما في ابتداء الاحرام أو في أثنائه. والثاني أن القارن ليس عليه إلا سعي واحد فإن أتى به أولا وإلا سعى عقيب طواف الإفاضة والتمتع عليه سعى ثان عند الجمهور وعند أحمد رواية أخرى أنه يكفيه سعي واحد كالقارن. (الزاد ١/١٨٩).

الفرق بين دم الشكران ودم الجبران

وأما قولكم أنه نسك [١] مجبور بالهدي فكلام باطل من وجوه: أحدهما أن الهدي في التمتع عبادة مقصودة وهو من تمام النسك وهو دم شكران لا دم جبران وهو بمنزلة الأضحية للمقيم وهو من تمام عبادة هذا اليوم فالنسك المشتمل على الدم بمنزلة العيد المشتمل على الأضحية فإنه ما تقرب إلى الله في ذلك اليوم بمثل اراقة دم سائل وقد روي الترمذي وغيره من حديث أبي بكر الصديق أن النبي ﷺ سئل أي الأعمال أفضل فقال العج والثج، والعج رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة دم الهدي. (الزاد ١/٢١٧).

الفرق بين الأبدال واستباحة المحظور

فإن قيل: فغاية مايدل عليه الحديث [٢] جواز الانتقال إلى الخف والسراويل عند عدم النعل والازار، وهذا يفيد الجواز، وأما سقوط الفدية فلا، فهلا قلتم كما قال أبو حنيفة: يجوز له ذلك مع الفدية؟ فاستفاد الجواز من هذا الحديث، واستفاد الفدية من حديث [٣] كعب بن عجرة، حيث جوز له فعل المحظور مع الفدية، فكان أسعد بالنصوص بموافقتها منكم، مع موافقته لابن عمر في ذلك.

---

(١) أي حج المتمتع.

(٢) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أبو داود عن ابن عمر قال «سأل رجل رسول الله ﷺ ما يترك المحرم من الثياب؟ فقال: لا يلبس القميص ولا البُرْنُس ولا السراويل ولا العمامه ولا ثوبا مسّه ورْسُ ولا زعفران ولا الخفين إلا أن لا يجد النعلين فمن لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا أسفل من الكعبين» قال ابن القيم رحمه الله هذا الحديث يدل على جواز الإبدال بدون فديه وليس هذا من باب استباحة المحظور مع الفدية.

(٣) اخرج البخاري وأبي داود عن كعب بن عجره «أن رسول الله ﷺ مرّ به زمن الحديبية فقال قد آذاك هوامُّ رأسك، قال نعم فقال النبي ﷺ احلْق ثم اذبح شاه نسكا أو صم ثلاثة أيام أو أطعم ثلاثة آصُع من تمر على ستة مساكين» قال ابن القيم رحمه الله أن هذا الحديث يدل على إستباحة المحظور مع الفدية.

قيل : بل إيجاب الفدية ضعيف في النص والقياس، فإن النبي ﷺ ذكر البدل في حديث ابن عمر، وابن عباس، وجابر، وعائشة، ولم يأمر في شيء منها بالفدية، مع الحاجة إلى بيانها، وتأخير البيان عن وقته ممتنع، فسكوته عن إيجابها مع شدة الحاجة إلى بيانه لو كان واجبًا دليل على عدم الوجوب، كما أنه جوز لبس السراويل بلا فتق، ولو كان الفتق واجبًا لبينه. وأما القياس فضعيف جدًا.

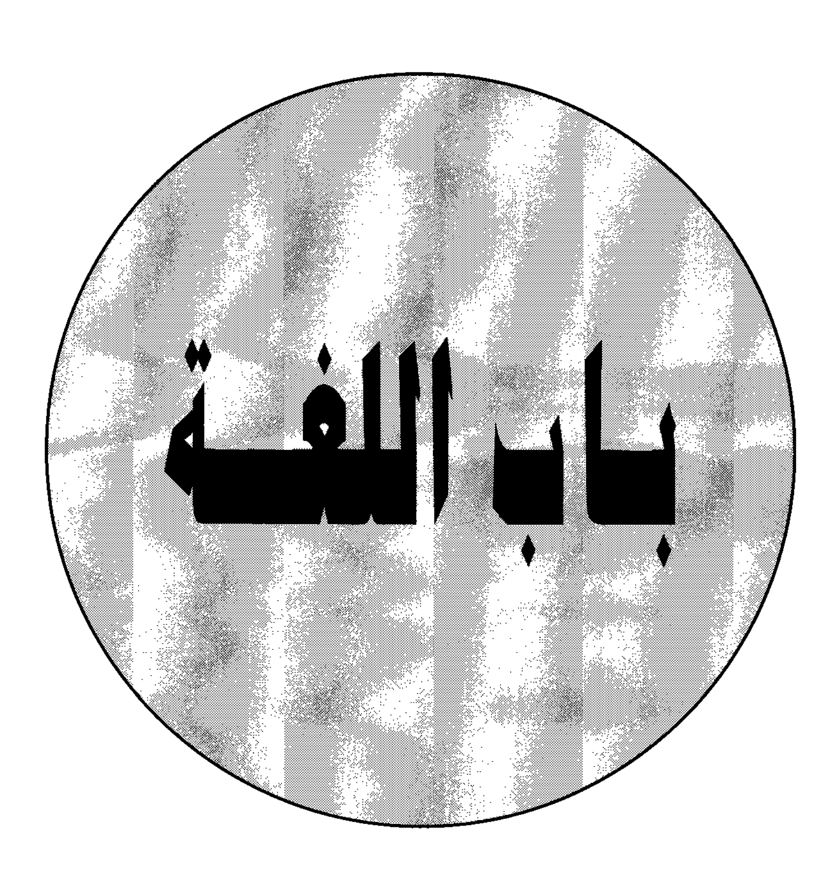
فإن قيل : هذا من باب الأبدال التي تجوز عند علم مبدلاتها، كالتراب عند عدم الماء، وكالصيام عند العجز عن الاعتاق والإطعام، وكالعدة بالأشهر عند تعذر الأقراء ونظائره، وليس هذا من باب المحظور المستباح بالفدية، والفرق بينهما أن الناس مشتركون في الحاجة إلى لبس ما يسترون به عوراتهم، ويقون به أرجلهم الأرض والحر والشوك ونحوه، فالحاجة إلى ذلك عامة، ولما احتاج إليه العموم لم يحظر عليهم، ولم يكن عليهم فيه فدية بخلاف مايحتاج إليه لمرض أو برد، فإن ذلك حاجة لعارض، ولهذا رخص النبي ﷺ للنساء في اللباس مطلقًا بلا فدية، ونهى عن النقاب والقفازين، فإن المرأة لما كانت كلها عورة، وهي محتاجة إلى ستر بدنها، لم يكن عليها في ستر بدنها فدية، وكذلك حاجة الرجال إلى السراويلات والخفاف هي عامة، إذا لم يجدوا الإزار والنعال، وابن عمر لما لم يبلغه حديث الرخصة مطلقًا أخذ بحديث القطع، وكان يأمر النساء بقطع الخفاف، حتى أخبرته بعد هذا صفية زوجته عن عائشة (أن النبي ﷺ أرخص للنساء في ذلك) فرجع عن قوله. (تهذيب السنن ٢/٣٤٩).

الفرق بين حقوق الملك وحقوق المالك

حقوق المالك شيء وحقوق الملك شيء آخر : فحقوق المالك تجب لمن له على

أخيه حق وحقوق الملك تتبع الملك ولا يراعى بها المالك وعلى هذا حق الشفعة [1] للذمي على المسلم من أوجبه جعله من حقوق الأملاك ومن أسقطه جعله من حقوق المالكين والنظر الثاني أظهر وأصح لأن الشارع لم يجعل للذمى حقا في الطريق المشترك عند المزاحمة فقال (إذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه) فكيف يجعل له حقا في انتزاع الملك المختص به عند التزاحم وهذه حجة الامام أحمد نفسه وأما حديث (لا شفعة لنصراني) فاحتج به بعض أصحابه وهو أعلم من أن يحتج به فإنه من كلام بعض التابعين. (بدائع الفوائد ١/٢).

(١) الشفعة : حق تملك الشِّقص على شريكه المُتجدِّد مِلْكُه قهرا بعوض ١هـ من القاموس والشقص السهم.


باب اللغة

الفرق بين الشك والريب

الفرق بين الشك والريب من وجوه (أحدهما) أنه يقال شك مريب ولا يقال ريب مشكك (الثاني) أن يقال رابني أمر كذا ولا يقال شككني (الثالث) أنه يقال رابه يريبه أذا أزعجه وأقلقه ومنه قول النبي ﷺ وقد مر بظبي خافت في أصل شجرة (لا يريبه أحد) ولا يحسن هنا لا يشككه أحد (الرابع) أنه لا يقال للشاك في طلوع الشمس أو في غروبها أو دخول الشهر أو وقت الصلاة هو مرتاب في ذلك وإن كان شاكا فيه (الخامس) ان الريب ضد الطمأنينة واليقين فهو قلق واضطراب وانزعاج كما أن اليقين والطمأنينة ثبات واستقرار (السادس) يقال رابني مجيئه وذهابه وفعله ولا يقال شككني فالشك سبب الريب فإنه يشك أولا فيوقعه شكه في الريب فالشك مبتداء الريب كما أن العلم مبتداء اليقين. (البدائع ١٠٦/٤)

الفرق بين الأمس واليوم

في اليوم وأمس وغد وسبب اختصاص كل لفظ بمعناه إعلم أن أقرب الأيام اليك يومك الذي أنت فيه فيقال فعلت اليوم فذكر الاسم العام ثم عرف بأداة العهد ولا شئ أعرف من يومك الحاضر فانصرف اليه ونظيره الآن من آن والساعة من ساعة، وأما امس وغدا فلما كان كل واحد منهما متصلا بيومك اشتق له اسم من أقرب ساعة اليه فاشتق لليوم الماضي أمس الملاقي للمساء وهو أقرب إلى يومك من صاحبه اعني صباح غد فقلوا امس وكذلك غدا اشتق الاسم من الغدو وهو أقرب إلى يومك من مسائه اعني مساء غد وتأمل كيف بنوا أمس واعربوا غدا لان

أمس صيغ من فعل ماضي وهو امسي وذلك مبني فوضعوا امس على وزن الأمر من أمسى يمسي وأما الغد فإنه لم يؤخذ من مبنى اذ لا يمكن ان يقال هو مأخوذ من غدا كما يمكن أن يقال أمس من أمسي بل أقصى ما يمكن فيه أن يكون من الغدو والغدوة وليستا بمبنيين وهذه العلة أحسن من علة النحاة أن أمس بني لتضمنه معنى اللام وأصله الأمس قالوا لأنهم يقولون أمس الدابر فيصفونه بذي اللام فدل على أنه معرفة ولا يمكنه، أن يكون معرفة إلا بتقدير اللام وهذا أولا منقوض بقولهم غد الآتى فيلزم على طرد علتهم أن يبنوا غدا وأيضا فإن أمس جرى مجرى الاعلام وهو والله أعلم بمنزلة أصمت وأطرق مما جاء بلفظ الأمر اسم علم لمكان يقول الرجل لصاحبه فقد أصمت إذا جاوزه فاصمت في المكان كامس في الزمان ولعله أخذ من قولهم أمس بخير وأمس معنا ونحوه ولا يقال كيف يدعى فيه العلمية مع شيوعه لانا نقول علميته ليست كعلمية زيد وعمرو بل كعلمية أسامه وذؤالة وبرة وفجار وبابه مما جعل الجنس فيه بمنزلة الشخص في العلم الشخصي (فإن قيل) فما الفرق بينه وهو اسم الجنس إذا قيل هذا مما أعضل على كثير من النحاة حتى جعلوا الفرق بينهما لفظيا فقط وقالوا يظهر تأثيره في منع الصرف ووصفه بالمعرفة وانتصاب الحال عنه ونحو ذلك، ولم يهتدوا لسر الفرق بين أن موضعَ اللفظ لواحد منهم منكر شائع في الجنس ولمسمى الجنس المطلق فهنا ثلاثة أمور تتبعها ثلاثة أوضاع أحدهما معرف معين من الجنس له العلم الشخصي كزيدٍ. والثاني واحد منهم شائع في الجنس غير معرف فله الاسم النكرة كأسد من الأسد. الثالث الجنس المتصور في الذهن المنطبق على كل فرد من أفراده وله علم الجنس كاسامه فنظير هذا أمس في الزمان ولهذا وصف بالمعرفة فاعلق بهذه الفائدة التي لا تجدها في شئ من كتب القوم والحمد لله الوهاب المان بفضله. (البدائع ١/٨٥).

الفرق بين محمد وأحمد

الفرق بينهما من وجهين :

أحدهما : ان (محمدًا) هو المحمود حمدا بعد حمد، فهو دال على كثرة حمد الحامدين له وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه : (وأحمد) أفعل تفضيل من الحمد يدل على أن الحمد الذي يستحقه أفضل مما يستحقه غيره، فمحمد زيادة حمد في الكمية و(أحمد) زيادة في الكيفية، فيحمد أكثر حمد، وأفضل حمد حمده البشر .

الوجه الثاني : أن (محمدًا) هو المحمود حمدا متكررا كما تقدم، و(أحمد) هو الذي حمده لربه أفضل من حمد الحامدين غيره، فدل أحد الاسمين وهو (محمد) على كونه محمودا، ودل الاسم الثاني وهو (أحمد) على كونه أحمد الحامدين لربه، وهذا هو القياس، فإن أفعل التفضيل والتعجب عند البصريين لا يبنيان الا من فعل الفاعل لا يبنيان من فعل المفعول، بناء منهم على أن أفعل التعجب والتفضيل إنما يصاغان من الفعل اللازم لا المتعدي، ولهذا يقدرون نقله من فعل وفعل إلى بناء فعل بضم العين، قالوا : والدليل على هذا أنه تعدى بالهمزة إلى المفعول، فالهمزة التي فيه للتعدية، نحو ما أظرف زيدا، وأكرم عمرا وأصلهما ظرف وكرم . (جلاً الأفهام ص ٩٤).

وقال في زاد المعاد – أما محمد فهو اسم مفعول من حمد فهو محمد إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها ولذلك كان أبلغ من محمودا فإن محمود من الثلاثي المجرد ومحمد من المضاعف للمبالغة فهو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره من البشر ولهذا والله أعلم سمى به في التوراة لكثرة الخصال المحمودة التي وصف بها هو ودينه وأمته في التوراة حتى تمنى موسى عليه الصلاة والسلام أن يكون منهم وقد أتينا على هذا المعنى بشواهد هناك [١] وبينا غلط أبي القاسم السهيلي حيث جعل

---

(١) يقصد كتابة جلاً الأفهام .

الأمر بالعكس وان اسمه في التوراة أحمد. وأما أحمد فهو اسم على زنة أفعل التفضيل مشتق أيضا من الحمد وقد اختلف الناس فيه هل هو بمعنى فاعل أو مفعول فقالت طائفة بعنى الفاعل أي حمده لله أكثر من حمده غيره له فمعناه أحمد الحامدين لربه ورجحوا هذا القول بأن قياس أفعل التفضيل أن يصاغ من فعل الفاعل لا من الفعل الواقع على المفعول قالوا ولهذا لا يقال ما أضرب زيدًا ولا زيد أضرب من عمرو بأعتبار الضرب الواقع عليه ولا ما أشربه للماء وآكله للخبز ونحوه قالوا لأن أفعل التفضيل وفعل التعجب إنما يصاغان من الفعل اللازم ولهذا يقدر نقله من فعل وفعل المفتوح العين ومكسورها إلى فعل المضموم العين قالوا ولهذا لا يعدى بالهمزة إلى المفعول فهمزته للتعديةكقولك ما أظرف زيدًا وأكرم عمرًا وأصلها من ظرف وكرم قالوا لأن المتعجب منه فاعل في الأصل فوجب أن يكون فعله غير متعد قالوا وأما نحو ما أضرب زيدًا لعمر فهو منقول من فعل المفتوح العين إلى فعل المضموم العين ثم عدى والحالة هذه بالهمزة قالوا والدليل على ذلك مجيئهم باللام فيقولون ما أضرب زيدًا لعمرو ولو كان باقيًا على تعديه لقيل ما أضرب زيدًا عمرًا لأنه إلى واحد بنفسه وإلى الآخر بهمزة التعدية فلما أن عدوه إلى المفعول بهمزة التعدية عدوه إلى الآخر باللام فهذا هو الذي أوجب لهم أن قالوا انهما لا يصاغان إلا من فعل الفاعل لا من الواقع على المفعول ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا صوغهما من فعل الفاعل ومن الواقع على المفعول وكثرة السماع به من أبين الأدلة على جوازه تقول العرب ما أشغله بالشئ وهو من شغل فهو مشغول وكذلك يقولون ما أولعه بكذا وهو من أولع بالشئ فهو مولع به مبني للمفعول ليس الا وكذلك قولهم ما أعجبه بكذا فهو من أعجب به ويقولون ما أحبه إلى فهو من فعل المفعول وكونه محبوبًا لك وكذا ما أبغضه إلى وأمقته إلى. (الزاد ٢١/١).

الفرق بين الشوق والإشياق

اختلف في الفرق بين الشوق والأشتياق أيهما أقوى، فقالت طائفة: الشوق أقوى فانه صفة لازمة، والأشتياق فيه نوع افتعال كما يدل عليه بناؤه كالاكتساب ونحوه، وقالت فرقة: الأشتياق أقوى لكثرة حروفه، وكلما قوى المعنى وزاد زادوا حروقه. وحكمت فرقة ثالثة بين القولين. وقالت الاشتياق: يكون إلى غائب، وأما الشوق فانه يكون للحاضر والغائب. والصواب أن يقال: الشوق مصدر شاقه يشوقه إذا دعاه إلى الإشتياق إليه فالشوق داعية والإشتياق مُوجبه وغايته، فانه يقال: شاقني فاشتقت، فالاشتياق فعل مطاوع لشاقني[1]. قال أبو عبدالرحمن السلمي سمعت النصر أبا ذي يقول: للخلق كلهم مقام الشوق، وليس لهم مقام الأشتياق. ومن دخل في حال الأشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار. وهذا يدل على أن الأشتياق عنده غير الشوق. ولا ريب أن الأشتياق مصدر إشتاق يشتاق اشتياقًا، كما أن التشوق مصدر تشوق تشوقًا، والشوق في الأصل اسم مصدر شاقة يشوقه شوقًا مثل شاقة شوقًا إذا دعاه إلى الأشتياق، فالأشتياق مطاوع شاقة يقال شاقني فأشتقت إليه. ثم صار الشوق اسم مصدر الاشتياق وغلب عليه حتى لا يفهم عند الأطلاق إلا الاشتياق القائم بالمشوق والمشوق هو الصب المشتاق، والشائق هو الذي قام به داعي الشوق. فههنا الفاظ الشوق والأشتياق والتشوق والشائق والمشوق والشيق. فهذه ستة الفاظ: أحدهما: الشوق، وهو في الأصل مصدر الفعل المتعدى شاقة يشوقه، ثم صار اسم مصدر الأشتياق، اللفظ الثاني: الاشتياق: وهو مصدر إشتاق اشتياقًا، والفرق بينه وبين الشوق هو الفرق بين المصدر واسم المصدر. اللفظ الثالث: التشوق وهو مصدر تشوق إذا اشتاق مرة بعد مرة كما يقال: تجرع وتعلم وتفهم. وهذا البناء مشعر

(١) إلى هنا ١ هـ روضة المحبين ص ٢٩ وما بعده من طريق الهجرتين.

بالتكلف وتناول الشئ على مهلة. اللفظ الرابع: الشائق، وهو الداعي للمشوق إلى الأشتياق. اللفظ الخامس: المشوق، وهو المشتاق الذي قد حصل له الشوق. اللفظ السادس: الشيق، وهو فيعل بمنزلة هين ولين، وهو المشتاق. فهذه الفروق ما بين هذه الألفاظ، وأما كون الاشتياق أبلغ من الشوق فهذا قد يقال أنه الأصل وهو أكثر حروفًا من الشوق، وهو يدل على المصدر والفاعل. وأما المشوق ففرع عليه لأنه اسم مصدر وأقل حروفًا وهو إنما يدل على المصدر المجرد، فهذه ثلاثة فروق منها. والله أعلم. (طريق الهجرتين ص ٥٨٦).

الفرق بين الصبا والصبوة والتصابي

أن التصابي هي تعاطي الصِّبا وأن تفعل فعل ذي الصبوة. وأما الصِّبا فهو نفس الميل. وأما الصبوة فالمرة من ذلك مثل الغَشْوَة والكَبوة، وقد يقال على الصفة اللازمة مثل القسوة. وقد قال يوسف الصديق عليه السلام (والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين). (الروضة ص ٢٤).

الفرق بين الكفل والنصيب

تأمل قوله تعالى في الشفاعة الحسنة (يكن له نصيب منها) وفي السيئة (يكن له كفل منها). فان لفظ الكفل يشعر بالحمل والثقل. ولفظ النصيب يشعر بالحظ الذي ينصب طالبه في تحصيله، وان كان كل منهما يستعمل في الأمرين عند الأفراد، ولكن لما قرن بينهما حسن أختصاص حظ الخير بالنصيب وحظ الشر بالكفل. (الروضة ص ٣٧٨).

الفرق بين آتيت وأتيت

ما أتيت المال زيدًا منقول من أتنى لانها غير مؤثرة في المفعول وقد حصل منها في الفاعل صفة فإن قيل يلزمك أن تجيز آتيت زيدًا عمرًا أو المدينة أي جعلته يأتيها

قلت بينهما فرق وهو أن إيتاء المال كسب وتمليك فلما اقترن به هذا المعنى صار كقوله اكسبته مالاً أو ملكته اياه وليس كقولك. آتى عمراً وأما شرب زيد الماء فلم يقولوا فيه أشربه الماء لأنه بمثابة الأكل والأخذ ومعظم أثره في المفعول وإن كان قد جاء على فعل كبلع ولكنه ليس مثله إلا أن يريد أن الماء خالط أجزاء الشارب وحصل من الشرب صفه في الشارب فيجوز حينئذ نحو قوله تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل) وعلى هذا يقال أشربت الدهن الخبز لأن شرب الخبز الدهن ليس كشرب زيد الماء فتأمله. وأما ذكر زيد عمراً فإن كان من ذكر اللسان لم ينقل لأنه بمنزلة شتم ولطم وإن كان من ذكر القلب نقل فقلت اذكرته الحديث بمنزلة أفهمت واعلمته أي جعلته على هذه الصفة. (البدائع ص ٥٦ الجزء الثاني).

الفرق بين جملة الثناء التي تكون علة لغيرها أو تكون مستقلة مرادة لنفسها

يشير ابن القيم رحمة الله في هذا الفرق إلى القاعدة الخامسة عشر التي اشتملت عليها كلمات التلبية: وهي لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد لله والنعمة لك والملك لا شريك لك.

الخامسة عشرة في (إن) وجهان فتحها وكسرها فمن فتحها تضمنت معنى التعليل أي لبيك لأن الحمد والنعمة لك ومن كسرها كانت جملة مستقلة مستأنفة تضمنت ابتداء الثناء على الله والثناء إذا كثرت جملة وتعددت كان أحسن من قلتها وأما إذا افتحت فإنها تقدر بلام التعليل المحذوفة معها قياساً والمعنى لبيك لأن الحمد لك. والفرق بيّن بين أن تكون جمل الثناء علة لغيرها، وبين أن تكون مستقلة مرادة لنفسها، ولهذا قال ثعلب: من يقال (إن) بالكسر فقد عم، ومن قال (أن) بالفتح فقد خص. ونظير هذين الوجهين والتعليلين والترجيح سواء قوله تعالى حكاية عن المؤمنين (إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) كسر إن وفتحها.

فمن فتح كان المعنى ندعوه. لأنه هو البر الرحيم، ومن كسر كان الكلام جملتين، أحدهما قوله (ندعوه) ثم استأنف فقال (إنه هو البر الرحيم) قال أبو عبيد: والكسر أحسن، ورجحه بما ذكرناه. (تهذيب السنن ٢/٣٣٨).

تم بحمد الله تعالى وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.